سماحة الفقيه المجدِّد المرجع

السيّد محمد حسين فضل الله (رض)

مع الإمام علي (عليه السلام)

الحاكم المربّي

إعداد وتنسيق

الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

لبنان - حارة حريك - مجمع الإمامين الحسنين (عليهما السلام)



الطبعة الأولى

1433هـ ـ 2012م

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام

هاتف: ٠١/٥٥٧٠٠٠ ـ ٠١/٥٤٤٤٠٢

خليوي: ٠٣/٥٦٥٠٧٤

❊ ❊ ❊

البريد الإلكتروني

info@tawasolonline.net

info@fadlullahlibrary.com

❊ ❊ ❊

المواقع الإلكترونية ـ المركز الإسلامي الثقافي

www.tawasolonline.net

www.fadlullahlibrary.com

youtube/tawasolonline

Facebook:

مكتبة العلّامة المرجع السيّد فضل الله العامة

تواصل أون لاين

سماحة الفقيه المجدِّد المرجع

السيّد محمد حسين فضل اللّه رضوان الله عليه

مع الإمام علي عليه السلام

الحاكم المربّي

إعداد وتنسيق

الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام



المقدّمة

عليٌّ(ع) ومن زمنٍ غابر وضع للأمّة مناهج، مناهج في التربية والأخلاق والسياسة وفي الحكم وغيرها، على قواعد من القرآن والسُّنة النبويّة الشريفة، بتوجيه وإرشاد من مدينة علم الله، رسول الله(ص)... وهذا ما ألقى عليه السيد فضل الله (رضوان الله عليه) الضوءَ في محاضراته ودروسه ومواعظه، حيث عمل الأخ الدكتور السيد محمد رضا فضل الله على تنسيقها وإعدادها، ونحن بدورنا ننشرها لتكون عربون وفاء لروح سيّدنا (رضوان الله عليه) وليستفيد منها شبابنا وفتياتنا، وتكون لهم زاداً لمواجهة الحياة ليعرفوا من خلالها أين يضعون خطواتهم على الطريق..

والله الموفّق والمسدِّد

مدير المركز الإسلامي الثقافي

شفيق محمد الموسوي

ذو القعدة ١٤٣٣هـ

ت١ ٢٠١٢م



تمهيد

كيف هي نظرة الإمام علي (ع) إلى السُّلطة والخلافة والولاية؟..

هل هي نظرة الإنسان الذي يطمح شخصيّاً إلى أن يحكم ويتزعّم، ويملك ويحصل على أعلى الدرجات، وأرفع المناصب؟..

إنَّ من يتابع سيرة الإمام (ع) يجده النموذج الرساليّ الذي يتعالى على السّلطة والحكومة والسيطرة على الناس... كان همّه الرسالة.

- في زمن الرسول (ص) كان يعرّض نفسه للأخطار من أجل الإسلام، وكانت كلمته دائماً وباستمرار: «**لا أبالي أوقعت على الموت أم وقع الموت عليّ**».
- وبعد وفاة الرسول (ص) حينما كان يدفع الناس للحرب، لم تكن الحرب غايته، بل كانت واحدة من الوسائل التي يمارس فيها الضغط، من أجل أن يجتذب الناس للتفكير فيما يطرحه

عليهم من الأهداف التي تتّصل بخدمة الرسالة والسّير على خطّها المستقيم.

موقفه في معركة صفّين

عندما سار الإمام علي (ع) مع جيشه إلى حرب معاوية بن أبي سفيان في صفّين، وعندما تقابل الجيشان، كان جيش الإمام عليّ (ع) يستعجل البدء في الحرب، ويشجّع على الهجوم، بينما الإمام (ع) كان يُؤخّر عملية البدء أياماً، حتى تسرّب الشكّ إلى أصحابه، فتهامسوا، وتساءلوا:

- لماذا يؤخر عليّ (ع) الحرب وهو القائد والمحارب والشجاع في ساحات القتال؟..

- هل هذا التأخير هو كراهيته للموت بعد أن بلغ السّتّين من العمر، والإنسان مع تقدّمه في العمر، يصبح أكثر حبّاً للحياة؟

فهم الإمام عليّ (ع) هذا الواقع، فأراد أن يصارحهم من جهة، ويربّيهم من جهة أخرى، فقام خطيباً فيهم وقال:

«أما قولكم: أَكُلُّ ذلك كراهية الموت؟.. فوالله ما أُبالي، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ.

وأمّا قولكم شكّاً في أهل الشام!.. فوالله ما دفعت الحرب يوماً

إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فتهتدي بي، وتعشـو إلى ضوئي (أي تستدل عليه ببصر ضعيف)**، وذلك أحبُّ إلـيَّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها**».

يريـد الإمـام (ع) أن يقـول لـكلّ المشـكّكين: إنّ حربـي لكلّ المتمرّدين هي وسيلة ضغط، علّ شـدّته تدفعهم إلـى أن يفكّروا بالحـقّ الـذي أمثّلـه، وأدعـو إليـه، ليسـارعوا إليـه، ويتخلّوا عن تأييدهـم لمـن يدعونهم إلى الضـلال، وهذا يعنـي أن الإمام (ع) ليس شخصاً مغرماً بالسّلطة، وهو ما عبّر عنه في مناجاته لربّه.

«**اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسـة في سـلطان، ولا التمـاسَ شـيءٍ مـن فضـول الحطام، ولكـن لنَـرِدَ المعالم من دينـك، ونُظهر الإصلاح في بـلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقـام المعطّلـة من حـدودك، اللهـم إنّـي أول من أناب، وسـمع وأجاب، لم يسبقني إلاّ رسول الله (ص) بالصلاة**».

فالإمام (ع) لم يشأ دخول ساحة الصراع مع الناكثين والقاسطين والمارقين من أجل منافستهم في سلطان، أو في التماس شيء من حطـام الدنيـا، أو في التغلّب عليهم بهـدف الحصول على مال أو ثروة... الإمام عليّ (ع) إنسان رساليّ لا تعني له الدنيا شيئاً، وهو الذي قال:

«... ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز»

«يا دنيا غرّي غيري، فقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فَعَيْشُكِ قصير، وخَطَرُكِ كبير...»

إذن، هدف الإمام (ع) هو العدالة في الحكم، والصّلاح في البلاد من أجل أن يأمن المظلومون، ويُطبّق النظام الإسلامي العادل على الجميع، فينال كلّ إنسان جزاءه سواء في ثواب أو عقاب.

وفي موقف ريادي آخر، نقرأ في سيرة الإمام (ع): ذات مرّة انقطع شِسْعُ نعله، فأراد أن يصلحه، وكان في موقع الخلافة، وكان إلى جانبه ابن عمّه «عبد الله بن عباس»، الذي استغرب هذا الموقف، فقال له: «**يا ابن عبّاس، أترى إلى هذه النّعل، إنّها أعظم من إمرتكم هذه إلاّ أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً**».

وهذا هو ما أكّده النبيّ (ص) بقوله: «**عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار**».

هذا الإمام الذي عبّر أيضاً:

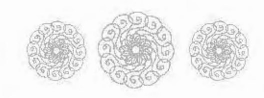
«والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصيَ اللهَ في نملة أسلبُها جلبَ شعيرة ما فعلت..»

هذا هو الإمام عليّ (ع) الذي لا نستطيع إلا أن نحبّه ونواليه،

ولا نستطيع إلاّ أن ننحني أمام فكره وعلمه وشجاعته، وفي ذلك صدق الشاعر المسيحيّ الذي انفتح على شخصية الإمام (ع) بكلّ أبعادها، والذي أنشد:

يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي

واخشعي إنّني ذكرتُ عليّاً





الإمام عليّ (ع) رائد الوحدة الإسلامية

في رسالة أرسلها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) إلى أهل مصر، يشرح فيها موقفه من الخلافة، بعد أن نُحّي عن حقّه الشرعي:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً (ص) نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ. فلمَّا مَضى (ص) تنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ. فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[1] وَلاَ يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ! فَمَا رَاعَنِي[2] إلاَّ انْثِيَالُ[3] النَّاس عَلَى فُلاَن يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي[4] حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاس قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَم، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلاَمَ

(١) رُوعي: قلبي.
(٢) راعني: أفزعني.
(٣) انثيال: اندفاع.
(٤) أمسكت يدي: كففتها عن العمل، وتركت الناس وشأنهم.

وَأَهْلَـهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْمـاً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَـوْتِ وِلاَيَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّام قَـلاَئِـل، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّـرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّـعُ السَّـحَابُ، فَنَهَضْـتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ»[٥].

بعد رسول الله (ص)

لـم يكـن الإمـام علـيّ (ع) يتوقّـع من المسـلمين بعد رسـول اللـه(ص) الخـروج عـن وصيّته، بالعمـل على تنحيـة الإمام (ع) عن موقعـه، وحتى يُعلن دهشـته واحتجاجه، اعتمد موقفاً سـلبياً فـي البدايـة، فاعتزل النـاس، ورفض البيعـة، متّخذاً موقفاً سـلبياً وسـلمياً، لأنّ أيّـة حركة مضـادّة في تلـك المرحلة من شـأنها أن تُضعِف وحدة المسـلمين وقوّتهم، وهذا يشـكّل مشكلة للإسلام كلّه... ومن أجل ذلك سكت عن حقّه، مكتفياً في بيان هذا الحقّ.

ولكـنّ الإمـام سـلام الله عليـه خرج عـن سـلبيّته، عندما رأى راجعـة الناس قد رجعت عن الإسـلام من خلال ظاهرة الرِّدّة عن الإسلام التي شملت بعض المواقع الجغرافية.

أيضاً حينما رأى أنّ الواقع الإسـلامي يفتقد إلى العقل المفكّر الـذي يعرف أصول الإسـلام وفروعه من مصـادره الأصيلة، وأنّ

---

(٥) تنهنه: ارتاح.

بقاءه بعيداً عن الساحة يُضعِف قوّة الإسلام، لاسيما بعد حركة الفتوحات التي زادت من حدّة التفاعل مع الشعوب الأخرى. من أجل ذلك كلّه وغيره انطلق الإمام (ع) يساعد ويعاون ويُقوِّم.

السياسة في حركة الإمام عليّ (ع)

يرى الإمام (ع) أنّ المسؤول المسلم إنسان يتجاوز مصالحه الشخصيّة، وانفعالاته الذاتيّة، ويتعالى على ما أصابه من سهام وجراح، وينطلق بتضحيات نفسية وعملية ليرصد أين هي مصلحة الإسلام والمسلمين.

نحن نعرف أنّ الخلافة حقّ، وأنّ الإمام هو صاحب هذا الحقّ من خلال النصوص النبويّة الدامغة، وأنّ الذين تَقدَّموه لا يملكون مثل هذا الحقّ.. وكان بإمكانه، على الطريقة المتعارفة في السياسة أن يخذلهم حينما يحتاجون إليه من مقولة: (دبّروا حالكم، جرّبوا حظوظكم)، لينتظر حالة سقوطهم من أجل أن يصبح هو وفريقه مكانهم.

هكذا هي السياسة السائدة عندما يكون هناك معارضة، حيث ترفض هذه المعارضة المساعدة والتقويم من أجل أن يبدو الحكم ضعيفاً، فيسقط، لتسارع إلى استلام السلطة.

إنّ الإمام عليّاً (ع) هو رجل مبادئ، فهو لم يكن سياسياً



يتصيّد المواقف، ويبحث عن نقاط الضعف، ليستغلّها، ويوظّفها لمصالحه الشخصيّة الآنيّة، كان يدرس الأمور من خلال مصلحة الإسلام العُليا، إنّه كان يرى في نفسه الشرعيّة، وهو لذلك، فهو الخليفة الشرعيّ المسؤول عن الإسلام والمسلمين، حتى لو لم يكن في الموقع الرسمي. المسؤوليّة لديه كانت تنطلق في عقله وقلبه وحركته، أن يبقى يتحمّل المسؤوليّة حتى لو كان خارج الحكم.

من أجل ذلك انطلق يعمل بكلّ جهوده لحفظ الإسلام، فساعد خصومه، فعاون، وأعطى الرأي والنصيحة والمشورة، حتى قوي الإسلام واستراح.

الوحدة الإسلامية في حركة الإمام (ع)

من خلال هذه المواقف الرساليّة، نفهم أنّ مسؤولية المسلم في القضايا الإسلامية العامة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... هي الحفاظ على وحدة المسلمين، إذاً، لا يكفي أن ينظر الإنسان إلى نفسه أنّه على الحقّ، وأنّ الآخرين ليسوا على الحقّ، ليأخذ ذلك سبباً للمقاطعة أو المواجهة.

مع الأسف الشديد أنّ هذا الواقع السلبي موجود في الذهنية الإسلامية العامة، فالسُّنّة والشيعة عالَمان منفصلان، وكأنّ كلّ فريق

لـه همومه وشـؤونه عليه أن يفكّـر بها لوحده، ويقتلع مـا يصادفه من أشواك بأظافره، فالسُّنّي لا يشعر أنّه مسؤول عن الشيعي، والشيعي لا يشـعر أنّه مسؤول عن حركة السُّنّي، بالإضافة إلى أنّ كلّ واحد منهما يعتبر الآخر شيئاً آخر لا يملك الحقّ ولا الشرعية.

هـذه عقليّة مذهبيّة أو طائفية ضيّقـة ومغلقة، وهي التي تواجه الواقـع الإسـلامي، مـع العلـم أنّ مـا يجمـع الفريقيـن أكثـر ممّا يفرقهمـا... سـواء كان فـي الأصـول أو الفروع... فهم سـواء في عقائـد التوحيـد والنبـوّة والقرآن واليـوم الآخر.. وهـم سـواء في عبـادات الصلاة والصـوم والزكاة الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر... الخـلاف بين الفريقيـن ينحصر في أمـر الإمامة، هناك خـلاف فـي موضوع الحقّ الشـرعيّ فـي الإمامـة... ولكن أليس من المفروض أن نسـتهدي بسـيرة الإمـام عليّ (ع) فـي معالجته الحكيمـة لهـذا الأمـر الحسّـاس والخطيـر، فنتجـاوز الاختلاف السـلبيّ إلـى الخلاف الإيجابـيّ بالحوار الإنسـانيّ الـذي يعتمد المنطق والبرهان، من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين.

هناك أصوات نشاز تنطلق بين حينٍ وآخر: نحن الشيعة لا شأن لنا بالسُّـنّة، ونحن السُّنّة لا شـأن لنا بالشيعة، لا دخل لنا بفلسطين ولا بالشيشـان ولا بالبوسنة والهرسـك ولا بأفغانستان... ويقول السُّـنّة أيضاً نحن لا دخل لنا بما يجري في إيران، إنّها ثورة شـيعية

وليست إسلامية، وماذا تكون النتيجة؟... هنا يتسلّل الاستكبار العالمي ليسيطر على الواقع الإسلامي كلّه... كما يقول المثل: «أُكِلتُ يومَ أُكِل الثور الأبيض». كان هناك ثوران أسود وأبيض متعاونين، أراد الأسد أن يأكل أحدهما فلم يستطع، استخدم الأسد الحيلة، فأثار حفيظة الأسود على الأبيض، حتى تخلّى عن مساعدته، فتفرّد به الأسد وأكل الأبيض، وجاءت الأيام وجاع الأسد، ولم يكن بالسّاحة سوى الثور الأسود الذي فقد المساعد والمؤازر فقال مقولته الشهيرة: «أُكِلْتُ يوم أُكِل الثور الأبيض».. فأنا حينما سمحت له أن يأكل الثور الأبيض، فأنا سمحت له بذلك أن يأكلني بعد أن بقيت وحيداً في السّاحة.

فنحن حينما نسمح للاستكبار العالمي بالسيطرة على موقع من مواقع العالم الإسلامي فإنّ ذلك سينتقل بالعدوى إلى المواقع الأخرى... إنّ الاتّفاق يشكّل قوّة والاختلاف ينتهي بنا إلى الفشل، والحقيقة القرآنية تؤكد ذلك: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال:٤٦].

ومن جهة أخرى لو فرضنا أنّ الخلاف استفحل بين السُّنّة والشيعة، فقاطع كلّ فريق الآخر، ولم يتعاون معه في القضايا الاجتماعية والسياسية والأمنية والاقتصادية.. من سيكون المستفيد؟ مع الأسف، إنّ العصبية العمياء تجعل البعض يتعامل

مـع الشّـيطان، وليس مسـتعداً للتعاون مع أخيه فـي مذهب آخر، هـذا واقـع يغذّيه الاسـتكبار العالمي مـن أجل أن يمرّر مشـاريعه الاسـتعماريّة بإثارة الخلافـات الطائفية والحساسـيات المذهبيّة والدفائن التاريخيّة.

إنّ المسـلمين أُمّـة واحـدة، والاسـتكبار العالمـي يريـد رأس الإسـلام فقـط... عندما سـيطرت الصهيونيّة على فلسـطين، هل كان المقصود السيطرة على السُّنّة، أم على المسلمين ككلّ؟

وعندما كانوا يعتدون على جبل عامل والبقاع الغربي في لبنان، هل كان المقصود السيطرة على الشيعة، أم على المسلمين كافّة؟

وعندمـا تحاصر أميـركا إيران، وتلاحق حركـة التطوّر عندها، هل تقصد أيضاً حصار الشّيعة؟..

الخطر لديهم هو الإسلام، وبالأخص إذا كان حركيّاً منفتحاً.

التواصل الإيجابي في حركة الإمام (ع)

والنمـوذج المثالي في حركة التواصـل الإيجابي مع الخصوم كان الإمـام علـيّ (ع)، فقد قـدّم المشـورة والنصيحة لمـن كانوا السّـبب فـي تنحيته عـن الخلافة، وهذا مـا أكّده الخليفـة عمر بن الخطّـاب في كلماته الشـهيرة: «لولا عليّ لهلـك عمر»، «لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

الإمـام علـيّ (ع) كان كبيـر العقل والنفـس والـرّوح، كان يُحدّق بالمصلحة الإسـلامية، وليس بالشـخص، كان يعتبر أنّ انسـحابه من الساحة، قد يضعف الساحة الإسلامية، بحيث يمكن أن تدور الدوائر على المسلمين، وبذلك «**تكون المصيبة عليه أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السّراب...**».

هذا هو أسـلوب الوعـي الذي اعتمده الأئمة مـن بعده، الإمام الصادق (ع) كان يقول لأصحابه: «**صلّوا في مسـاجدهم، شـيّعوا جنائزهـم، عـودوا مرضاهـم، حتى يقولـوا: رحم اللـه جعفراً بن محمد، ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه**».

وكان يقول أيضاً: «**كونوا زَيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا**».

الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّيات

ونحـن فـي واقعنـا المعاصـر نلتقـي بالتحدّيـات الاسـتكبارية، تحديـات الكفـر العالمـي التي من أهدافهـا الكبـرى تقويض أواصر الأخوة بين المسـلمين بمختلف تنوّعاتهـم الثقافيّة، والعلاج الوحيد والأسـاس هـو الوحدة الإسـلاميّة. والوحدة الإسـلاميّة لا تعني بأن تقول للشـيعيّ اترك خـطّ أهل البيت(ع)، وتنازل عـن خطوط عقيدة التشيّع، وكذلك نطلب من السُّنّي أن يصبح شيعيّاً ليتخلّى عن خطوط عقيدته وخصوصيّاتها، نحن نقول للاثنين: الوحدة الإسلامية تفرض

أن نلتقي على ما اتّفقنا عليه، بالتركيز على القواسم المشتركة وهي كثيرة وكثيرة، ونتعاون فيما هو مصلحة إسلامية مشتركة لجميع المسلمين، أن نتواصل، ونتحاور ونتناصح في حال الخلاف نتسلّح بالقاعدة القرآنية: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ...﴾** [النساء:٥٩]. ليست الوحدة الإسلامية أن يجامل بعضُنا البعض في التنازل عن عقيدته، وهذا أمر غير جائز، المهم ـ كما قلنا ـ هو أن نلتقي على ما اتّفقنا عليه، وعلى ذمّة التاريخ يُقال: إنّه عندما كانت الحرب دائرة بين الإمام عليّ (ع) ومعاوية بن أبي سفيان في «صفّين»، قيل لعليّ(ع): إنّ ملك الروم يمكن أن يستغل فرصة الحرب ليهجم على المسلمين ويستبيح أراضيهم، فأجاب: **أكون أنا ومعاوية عليه.**

المسألة هنا هي مصلحة الإسلام، وليست مصلحة أهل الشام وأهل العراق، المسألة تُختصر بالمصلحة الإسلامية العليا.

إنّ الخطّ الذي رسمه الإمام عليّ (ع) في تاريخه الطويل هو خطّ الوعي، خطّ الوحدة الإسلامية، خطّ التشيّع هو خطّ المحافظة على الإسلام، خطّ إعطاء النصيحة والمشورة للآخرين من أجل مصلحة الإسلام والإسلام وحده.

وهذا الخطّ يفرض أن نمتنع عن الحديث السلبيّ بأساليب تثير الحقد والبغضاء، إنّ هذه سوف لن تقدّم لنا شيئاً إيجابياً، لا بل

إنّها تساهم في تعقيد الأمور، وتأجيج الفتن والخلافات.

ماذا تجدي لغة السُّباب والشّتائم؟... فأنت لا تستطيع بهذه اللّغة أن تربح عقلاً أو تهدي شخصاً، لا بل إنّ ذلك من شأنه أن يعقّد الأمور أكثر. يقول الإمام عليّ (ع) لعبد الله بن عباس: «**فلا يكن أفضلَ ما نلت في دنياك بلوغَ لذّة وشفاءَ غيظ، ولكن إطفاءَ باطل أو إحياءَ حقّ، وليكُن سرورك بما قدّمت، وأسفُكَ على ما خلّفت، وهمُّكَ فيما بعد الموت**».

فلا يكن همُّك في الدنيا فقط كيف تحقّق لذّتك، وكيف تنفّس عن غضبك، فاللذّة لحظة، وشفاء الغيظ لحظة، وما هو مهم هو إطفاء باطل، وإحياء حقّ، هذا هو ما يجب أن نفكّر به ونعمل له بالطريق الحضاريّة والأساليب الإنسانيّة: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً**﴾ [الإسراء:٥٣].

الوحدة في الواقع الشيعي

مشكلة الوحدة في الواقع الشيعي، وكذلك في الواقع السُّنّي، هو أنّنا نبحث عمّا يفرّقنا، ويضع الفواصل بيننا، ولا نبحث عمّا يجمعنا، ويزيل هذه الفواصل.

في الواقع الإسلاميّ الشيعيّ تتعدّد الخطوط السياسيّة سواء في

لبنان أو العراق أو الخليج أو إيران. ومع الأسف نجد أنّ العنف هو الذي يتحرّك في علاقة خطٍّ بخطّ، والسّبب هو أنّ ما يغذّي الاختلاف هو العصبيّة وغياب المبادئ، وإذا تحرّكت المبادئ في ساحات الصراع تنتفي الحرب وينحسر العنف.

العصبيّة هي ما استغلّته المخابرات الدوليّة لتُشعِل الحرب بين الفلسطينيّين والمسيحيّين، وبين المسلمين والمسيحيّين، وبين المسلمين أنفسهم، ومن خلال معلومات دقيقة أنّ المخابرات الدوليّة هي التي حرّكت الحروب التي دارت بين فُرقاء الشّيعة أنفسهم، من خلال بعض الأجهزة العربيّة والمال والسّلاح العربيَّين أيضاً، وماذا كانت النتيجة؟ الدمار والخراب والدماء، بحيث سقط الهيكل على رؤوس الجميع. الاستكبار العالميّ لنا بالمرصاد، والكفر العالمي لنا بالمرصاد، ونحن نتسلّى بقتل بعضنا البعض من خلال ذهنيّة العصبيّة والجهل والتخلّف وغريزة الثأر والانتقام والتشفّي.

ولعلّ ما يُثير الغرابة ويُدمي القلب هو أنّ الخلافات الشديدة تسلّلت إلى الواقع الديني، إلى المرجعيّات الدينيّة، فلان يقلّد فلاناً، وفلان تقليده باطل، إلى غير ذلك من الأقاويل التي يُراد منها الباطل.

المرجعيّة أو التقليد شأن دينيٌّ بَحْتٌ، تماماً كالشخص الذي يذهب إلى طبيب ليتداوى، لأنّ هذا الطبيب باعتقاده يتّسم

بالخبرة الكافية التي تشخّص المرض وتصف الدواء... وكذلك الأمر بالنسبة إلى المهندس الذي تستعين به لبناء شقّة، أو إلى المحامي الذي يعالج لك قضيّةً قانونيّة.. الرجوع إلى الفقيه هو من قبيل الرجوع إلى أهل الخبرة، فقد يعجبك هذا المرجع أو ذاك من خلال قناعاتك التي تعتقد أنّها كافية، وأنّها تُبرِئ ذمّتك... فلماذا هذا الجدل العقيم؟... ولماذا تلك العصبيّة العمياء؟ فلانٌ مجتهد، فلانٌ غير مجتهد، كيف تقلّد فلاناً؟.. وفلان تقليدُه باطل؟.. مَن الذي يملك الكفاءة والأهليّة لمثل هذا التصنيف؟

في عهد الإمام عليّ (ع) جاء رجل ليقول: عليٌّ أفضل أم فلان أفضل؟ وهو رجل لا يملك الخبرة، قال له الإمام (ع): «**مَن أنت لتستميز بين الفاضل والمفضول، إرجعْ أيّها الإنسان إلى ضلعك، وتأخّر حيث أخّرك القدر**».

إنّ من يتصدّى إلى التمييز بين المرجعيّات عليه أن يتمتّع بالتقوى أولاً ثم العلم والخبرة... مشكلتنا أنّ كثيراً من الناس الذين لا يفقهون الكثير من الأمور الدينية وحتى البسيطة منها ينبرون ليحكموا على مكانة مرجع وأهليّة مرجع..

العصبيّة مشكلة المشاكل، فلان مع الزعيم الفلاني، وآخر مع الزعيم الآخر، حتى في القضايا الفقهيّة... في كلّ تاريخ التشيّع، هناك اختلاف في توقيت الأعياد، المرجع الفلانيّ يقول بيوم،

ومرجع آخر يقول بيوم.. وكلٌّ يلتزم تكليفه الشرعي.. لماذا اليوم نجعل من العيد مادّة للحرب والنزاع؟..

ما هو مهم هو محاكمة هذه العقليّة المتخلّفة التي لا تقبل الآخر، والتي لا تملك الاستعداد للاعتراف به.. حتى في القضايا التاريخية، هناك اختلاف بين المؤرّخين في كثير من القضايا، وبالأخصّ بتلك التي تتعلّق بأهل البيت (ع).. البعض يقول: إنّ «ليلى» أُمُّ عليٍّ الأكبر كانت موجودة في كربلاء، والبعض الآخر ينفي ذلك.. والأمر هو أنّها كانت موجودة أو غير موجودة، ما الذي سيتغيّر؟.. ولماذا نجعل منها قضيّة لتصل إلى حدّ التشكيك بالولاء والانتماء؟.. إنّه قمّة الجهل والتخلّف.

السؤال الذي يُطرح: هل لديك دراسة تاريخيّة؟..هل تملك اختصاصاً في علم التاريخ؟.. إذا كان لديك ذلك اذهب بمستنداتك لتناقش الرأي التاريخيّ المعاكس، قدّم الأدلّة والبراهين، وعندها لا مشكلة، فقد يقتنع الآخر، وكلّ شيء خاضع للنقاش، لنبتعد عن لغة السُّباب والتكفير والتشكيك، ولنعتمد الأدب القرآني في الحوار: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ [الإسراء:٥٣] حتى في إطار العقائد هناك خلافات بين علماء الشّيعة أنفسهم في كثير من الخطوط التفصيليّة... ويأتي البعض ليعترض: كيف يقول

فلان؟ ولماذا يقول هكذا؟ وهذا مخالِف للمشـهور؟ ويأتي الردّ: مَـن أنت لتُدلي برأيك وتحكم؟..هـل لديك علم؟.. وهل تملك الخبرة الكافية؟.. وما موقعك بين العلماء؟..

بين مجتمع الوعي ومجتمع التخلّف

هـذا هو واقع مجتمع التخلّف، بينما المجتمع الواعي المتقدّم المثقّـف هـو المجتمـع المسـؤول الـذي يفكّر ويبحـث ويناقش انطلاقـاً من موازين البحـث العلمي الذي يعتمـد العقل والحجّة والمصادر الموثوقة، المجتمع الذي ينأى عن العشوائيّة العصبيّة، فيركّـز في حواره على مواطـن اللّقاء في معالجتـه لموضوع أهل الكتاب مثلاً.

يخاطبهم القرآن الكريم: ﴿**تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَـوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَـا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ...**﴾ [آل عمران:٦٤]. لم يواجههم بلغة السُّباب والشّـتائم التي تمثّل لغة الضعيف. أكثر من ذلك نلتقي بالنبيّ(ص) يضع نفسـه على مسـافة واحدة من خصومه: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُـم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِيـنٍ**﴾ [سـبأ:٢٤]، يقول لهم: تعالـوا، ربّما أكون علـى هدى وأنتم علـى ضلال، وربّما العكـس، أكون على ضلال وتكونـون أنتم على هـدى، تعالوا لنتفاهـم.. ونحن نعرف مـدى مصداقيّـة النبيّ (ص)،

وهل من المعقول أن يشكّ في نفسه وفي رسالته؟.. وهو الذي أتى بالصّدق وصدّق به، وهو الصّادق عن الله، والمبلّغ عنه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً*وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾ [الأحزاب:٤٥ ـ ٤٦].

الأسلوب الحضاريّ والإنسانيّ الذي يحترم قناعة الآخر يقضي بأن تأتي إلى شخص تختلف معه دينيّاً أو سياسيّاً أو اجتماعيّاً.. وتقول له: هناك حقيقة ضائعة بيننا، ربّما تكون مخطئاً، وربّما أكون أنا كذلك.. إنّك بذلك تقترب منه ويقترب منك، لتنتفي بذلك كلّ الحساسيّات والعقد النفسية والحالة العصبيّة.. لنستخدم الأساليب التي تحوّل أعداءك إلى أصدقاء: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:٣٤].

بينما الأسلوب الآخر يمكن أن يحوّل الأصدقاء إلى أعداء، والإمام عليّ (ع) يقول في هذا المجال: «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْأخْوَانِ**».

لنتعلّم من أمير المؤمنين كيف نواجه واقع الخلاف بين المسلمين.

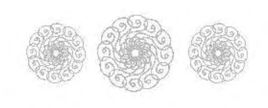
كيف نحفظ قوّة الإسلام والمسلمين.

كيف نضحّي بخلافاتنا ومزاجنا من أجل هذه القوّة.

علينا أن نكون الواعين لا المتخلّفين، علينا أن نكون المحاورين لا الشتّامين.

قال الإمام عليّ (ع): «**لَأُسالِمَنَّ ما سَلِمَتْ أمور المسلمين، ولم يكن بها جور إلاّ عليَّ خاصة**».

المهم هو سلامة أمور المسلمين، المهم هو أن يسلم رأس الإسلام، إنّ عليّاً أخلص للإسلام كما لم يُخلِص له أحد بعد رسول الله، أحبَّ الله ورسوله كما لم يحبّهما أحد. المهم أن نقتدي بالإمام عليّ (ع) الذي يسير بنا إلى الجنّة، فهلّا نتّبعه في فكره وأسلوبه وإخلاصه لربّه؟!





مع الإمام عليّ (ع)
في عهده لواليه على مصر «محمّد بن أبي بكر»

مع عليّ (ع) دائماً

وعندما يكون الإنسان مع عليّ (ع) دائماً، فإنّه يكون مع رسول الله (ص) دائماً، فعليٌّ (ع) هو نفسُ رسول الله (ص) وتلميذه الأوّل، عاش معه في طفولته الأولى وفي صباه، وفي شبابه، فكان كلُّ ما عند رسول الله (ص) عند عليّ (ع).

روحانية رسول الله (ص) عاشت في كلّ روحانيّته، أعطاه كلّ علمه، وكلّ أخلاقه، فكان صورةً عنه في كلّ أبعاد شخصيّته.

ومع رسول الله (ص) كان عليٌّ (ع) مع الله... فرسول الله(ص) كان مع الله قبل مبعثه، وبعد مبعثه... ومع رسول الله(ص) كان عليٌّ (ع) مع القرآن... كان تلميذَ القرآن، عاشه في عقله وقلبه وسيرته ومنهجه وكلّ تجربته في الحياة.

كان (ع) القمّة، التي لم يبلُغها أحدٌ بعد رسول الله (ص)، كان المخلص لله تعالى في روحه وفكره وجهاده وأخلاقه وبطولاته،

أحبَّ اللهَ ورسولَه، وأحبّه اللهُ ورسولُه، وعندما يحبّ اللهُ إنساناً، فإنّ معنى ذلك أنّ كلّ عناصر الحبّ الإلهيّ تجتمع فيه.

سيرة عليّ (ع) مع وُلاته

وقد كان من سيرة الإمام علي (ع) أنّه في خلافته كان يعيّن الولاة على الأنصار، ويتابع أداءهم، كان يزوّدهم أوّلاً بالمعلومات الإداريّة والسياسيّة، ثم بالتوجيهات الإنسانيّة، ليكونوا العناصر المنفتحة على جميع الناس، التي ترصد حاجاتهم، وتستجيب لها بكلّ صدق وأمانة.

ونحن حين نقرأ رسائله إلى ولاته، نرى فيها الموعظة الحسنة، والنصيحة الخالصة، والتخطيط المُحكم لبناء الإنسان والدولة على أساس الإسلام بكلّ تعاليمه وأخلاقه.

كان الإسلام هو كلّ همّه، وما الخلافة إلاّ وسيلة لإحقاق الحقّ، وإزهاق الباطل، وعليٌّ (ع) كما قال رسول الله (ص) مع الحقّ، والحقّ مع عليّ يدور معه كيفما دار. ومشكلته «عليه السلام» هي مع الناس الذين لا يُحبّون الحقَّ ولا يريدونه، حتى قال بمرارة: «**ما ترك لي الحقّ من صديق**».

وكان يريد من الناس التزام الحقّ في كلّ الظروف وبكلّ الوسائل، وكان يقول لهم: «**ليس بين الحقّ والباطل إلا أربعة**

أصابع .. الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت».

إذاً، عليٌّ (ع) مع الحقّ، يرتكز عليه في تعامله مع الناس، ويريد لهم أن يُبلِّغوه في أحكامهم وانطباعاتهم من خلال الوسائل الصادقة التي لا مجال فيها للكذب.

عهد الإمام (ع) إلى واليه على مصر «محمد بن أبي بكر»

«محمد بن أبي بكر» أحد أصحاب الإمام عليّ بن أبي طالب(ع). قلّده الإمام (ع) ولاية مصر، وقبل توجّهه زوّده برسالة إرشاديّة ترسم له سياسة حكمه مع الرعيّة وفق تعاليم القرآن وأحكام السُّنّة النبويّة الشّريفة، ومع الأسف الشديد لم يتسنّ له مزاولة الحكم إذ أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان مَن دسّ إليه السُّمّ، مُنهِياً بذلك حياة جهادية شريفة.

المستند (١)

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[٦] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ[٧]، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ،

---

(٦) آس: ساوِ.

(٧) حيفك: ظلمك.

وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

«**فاخفِضْ لهم جناحَك...**» (تواضُع الحاكم لرعيّته): كما يخفض الطير جناحه لفراخه، وهو كناية عن التواضع، أن تتواضع للناس ولا تعلو عليهم، وهو ما أراده الله تعالى لرسوله، فيما قال له:

﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٥]

هنا يريد الإمام علي (ع) أن يقول لكلّ حاكم: إنّك تستطيع أن تحصل على العزّ والهيبة والسّلطان من خلال تواضعك وعدلك، ومحبّتك وطاعتك لربّك، كما جاء في الحديث المروي عن الإمام الحسن بن علي (ع):

« **مَنْ أَرَادَ عِزّاً بِلا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلا سُلْطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَالٍ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ**».

فبمقدار ما تكون مطيعاً لله في نفسك وفي الناس، فإنّ الجميع يهابونك، فالهيبة ليست أن يخافك الناس، بل أن يحبّوك ويحترموك، فتدخل إلى عقولهم قبل أن تستريح في قلوبهم. وهذا ما كان يعيشه رسول الله (ص) مع أصحابه، حيث كانوا يقولون عنه: «**كان فينا كأحدنا، ولكنّنا كنّا نهابه**»، وهذا ما أراده عليٌّ (ع) في رسالته لواليه.

«**وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ...**»

أن تكـون ليّنـاً في تعاملك معهـم، وتبتعد عن القسـوة، لينفتح الناس عليك، يُقبلوا إليك.

ليكنْ رسول الله الأسوة الحسنة:

﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ...**﴾ [آل عمران:١٥٩].

«**وَابْسُـطْ لَهُمْ وَجْهَكَ...**» لتشـرق البسمة في وجهك، فيطمئنّ لك القاصي والداني، فرسول الله (ص) كان كثيرَ التبسُّم، وكانت بسمته تسبق كلمته، وكذلك الأئمة من أهل بيته (ع)، يقول الشاعر الفرزدق في مدحه للإمام زين العابدين (ع):

يُغضي حياءً ويغضى من مهابتِهِ

فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسِمُ

تصوّر نفسك أمام إنسان يستقبلك بالعبوس وتقطيب الوجه، إنّك بهذا تشـعر بأنّ قلبـك مغلق عنه، والحال عكس ذلـك حينما يلتقيك إنسان بالبسمة والضحكة، فأنت تشعر بأنّ قلبك انفتح عليه.

إنّ من أفضل السُّـبل التـي تجعلك محبوباً هو ابتسـامتك التي تعبّر عن محبّتك وإنسـانيّتك، فتعلّم كيف تبتسم، ولا تتعلّم كيف تقطّب وتعبس في وجوه الآخرين.

«... **وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة...**» (العدل في المعاملة) أن تكون عادلاً في تعاملك مع جلسائك، أن تساوي بينهم في النظرة، فلا تُقبِل بالحديث مع شخص أكثر من الشّخص الآخر الذي قد يشعر بالإهمال والدونيّة، وهذا أمر لا يختصّ فقط بالولاة والحكّام، فأنت حينما تجلس مع أولادك الصغار، لا تفرّق بينهم، ولا تلاعب الواحد أكثر من الآخر، كي لا يشعر بالحرمان، ويتعقّد من وجود أخيه... كن اجتماعياً في علاقتك بالآخر، لا تشعره بأنّك أعرضت عنه، بإقبالك في الحديث مع الآخر، حتى ولو كنت مشغولاً بحديث هامٍّ مع بعضهم، التفت إلى البعض الآخر بين حينٍ وآخر، كي لا يشعر هؤلاء بقلّة الاحترام والشعور بالإنسانية.

ثمّ إنّ الإمام عليّ (ع) يعلّل الهدف الكبير من ذلك: «**حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ...**»: ساوِ بين جميع الناس في اللّحظة والنظرة، حتى لا يشعر العظماء والوجهاء والأغنياء بأنّك انجذبت إليهم، وسقطت أمام عظمتهم، فيطمعون أملاً في ظلم الناس لحسابهم... وفي الوقت ذاته لا يشعر الضعفاء والفقراء بإعراضك عنهم، وعدم إنصافك لهم في حقوقهم.

ليشعر الضعفاء بأنّ دورك في إنصافهم، ومعاملتهم بالعدل،

وليشعر العظماء بأنّ دورك في إعادة الحقّ لمن ظلموهم وسلبوا حقوقهم... أسوة بالإمام علي (ع) الذي كان يردّد دائماً:

«القـوي العزيـز عنـدي ضعيفٌ ذليـلٌ حتى آخـذ الحقَّ منه، والضعيفُ الذليلُ عندي قويٌّ عزيزٌ حتى آخذ الحق له».

وهناك كلمة للإمام عليّ بن الحسين (ع) في دعاء له في الصحيفة السجادية: «**وارزقني التحفّظ من الخطايا والاحتراس من الزلل ـ** في حال الرضا والغضب ـ **حتى أكون بما يَرِدُّ عليّ منهما بمنزلةٍ سواء، عاملاً بطاعتك، مُؤثِراً لرضاك على ما سواهما في الأولياء والأعداء، حتى يأمن عدوّي من ظلمي وجَوْري، وييأس وليّي من ميلي وانحطاط هواي**».

هذه هي الأخلاق الإسلاميّة السّامية، لا يوجد قريب وبعيد، وصديق وعدوّ، هناك عدل وحقّ، تعطي لصاحب الحقّ حقّه، ولو كان عدوّك، وتأخذ حقّ الآخر ولو كان من صديقك.

- «**فإنّ الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة**»: (المسؤولية...) بعد أن حدّد الله تعالى حقوق عباده وواجباتهم، أوامره لهم ونواهيه، حمّلهم مسؤوليّة ما يقومون به من أفعال سواء كانت صغيرة أو كبيرة، ظاهرة أو مستورة، سواء كانت في حجم خيانة العين أو الكلمة، أو في حجم خيانة الأُمّة والوطن.

والشواهد القرآنية كثيرة:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٩].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧ ـ ٨].

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

هذا هو الجزاء العادل، والأمر كلّه بيد الله ربّ العالمين، فإن يعذّب فأنتم أظلم، بفعل ظلمكم المتعمّد لأنفسكم وللناس، وإن يعفُ فهو أكرم، لأنّه تنازل عن حقّه في عقابكم.

من خلال هذه الكلمات المسؤولة، يريد الإمام (ع) من المسؤولين عن حكم الناس أن تكون عقولُهم عقولَ الحقّ، وقلوبُهم قلوبَ الحقّ، وسيرتُهم سيرةَ العدل، وأن يكون حسابُهم لأنفسهم قبل حساب خالقهم لهم.

ثمّ إنّ الإمام عليّ (ع) يتابع وصاياه لواليه «محمد بن أبي بكر»، فيركّز على أن لا يجعل الدنيا أكبر همّه، بحيث تكون الآخرة على هامش اهتماماته، إنّه يريد منه، ومن كلّ إنسان، أن يجعل الآخرة محور اهتمامه، فتكون دنياه مزرعة لآخرته، وممهّدة لها.

المستند (٢)

«... وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ. سَكَنُوا الدُّنْيَا: بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ. وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ. وَخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً. أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً. فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا. وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ. الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ....».

الدنيا في حياة المسلم التقيّ

في هذه الكلمات يريد الإمام عليّ (ع) أن يركّز على التقوى التي أمر الله تعالى بها عباده، التقوى التي لا تطلب من الإنسان أن يترك الدنيا في حاجاتها، فهو بحاجة في الدّنيا إلى ما يأكله ويشربه ويتلذّذ به بما يرضي الله تعالى، فإطار الحلال كبير وواسع، والله تعالى يأخذ على الذين يحرّمون على أنفسهم طيبات الحياة التي أنعم الله بها على عباده:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

أيّها الإنسان التقيّ المؤمن، لك أن تلبس وتتزيّن بأفضل الزينة، ولك أن تأكل أفضل ما أحلّ الله من الطيبات **﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾** [المائدة:٤].

يقول الإمام جعفر الصادق (ع): «**فالدنيا إذا أقبلت، فإنَّ أولى الناس بها أبرارُها لا فجّارها، وأخيارُها لا أشرارها**»

فمن يستحق الدنيا هم الأتقياء الذين يلتزمون طاعة الله في حلاله وحرامه، وبذلك يرى الإمام سلام الله عليه أنَّ المتّقين حصلوا على الاثنين:

- حصلوا على عاجل الدنيا، فأكلوا أفضل الأكل، وسكنوا أفضل السّكن، وتمتّعوا بما لذّ وطاب من نِعَم الله سبحانه وتعالى.
- وانفتحوا على الآخرة، ونالوا السّعادة في جنّة عرضها كعرض السماوات والأرض أُعدّت للمتّقين.

يقول الشاعر:

ما أحسن الدّين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس للرجل

وبذلك علينا أن نأخذ بالتوجيه القرآنيّ الذي يؤكّد على توازن سلوك المسلم ما بين متطلّبات الدّنيا ومستلزمات الآخرة، ففي الحديث عن قصّة قارون يروي القرآن الكريم حواره مع بعض قومه:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦ ـ ٧٧].

فعندما يُنعِم الله تعالى عليك بنعمة، حاول أن توظّف هذه النعمة في خدمة دين الله لتحصل على الثواب في الآخرة، فكما

أعطـاك اللـه، أعطِ، وكما أحسَـن إليك أحسِـن، هذا هـو المنهج الإلهـيّ الـذي يجـب أن تعتمده في حياتك، تعيش إنسـانيّتك في احترام إنسانيّة الآخر في حاجاته الخاصّة ومهمّاته الاجتماعية.

- المؤمـن انفتح علـى الدّنيا في أجواء الحـقّ والخير والطاعة، فنال راحة الدنيا وسعادة الآخرة.
- الكافـر انفتح علـى لهو الدنيا وفسـادها، فحصل علـى الدنيا وخسر الآخرة، وذلك هو الخسران الكبير.

يقول الشاعر:

قد طال ما أكلوا دهـراً وما شربوا
فأصبحـوا بعد طـول الأكل قـد أُكِلوا

التجارة مع الله تعالى

ثـمّ يخاطب الإمـام علي (ع) العبـاد بالتأكيد علـى التجارة مع اللـه: «**واعلمـوا عباد اللـه أنّ المتّقيـن ذهبوا بعاجـل الدنيا وآجل الآخرة**»: حصلوا على نِعَم الله تعالى في الدنيا، فعاشـوا ملذّاتها، وحصلـوا على آجل الآخرة ففازوا بنِعَـمِ الجنّة، ومباهجها، وماذا كانت النتيجة؟..

فشـاركوا أهـلَ الدنيا في دنياهم، ولم يشـاركوا أهـلَ الدنيا في

آخرتهم: أكلوا وشربوا ولبسوا وتلذّذوا كما هو شأن أهل الدنيا، في إطار حلال الله وحرامه، فلا امتياز لهم في ذلك، ولكنّ المتّقين، حازوا على رضا الله تعالى بطاعتهم وامتثالهم لأوامره ونواهيه، ونالوا ثوابه في جنّات النعيم التي لم يشاركهم فيها أهل الدنيا.

ثمّ يستفيض الإمام (ع) في مقارنة رائعة بين حياة المتّقين وحياة الجبابرة المستكبرين:

فالمتّقون لم يُحرَموا طيّبات الدنيا فـ :

سكنوا الدنيا بأفضلَ ما سُكِنت، وأكَلوها بأفضلَ ما أُكِلت، فحظوا (حصلوا) **من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون**: سكنوا في بيوت عامرة جيدة، وأكلوا أطيب المأكولات، ولبسوا أجمل الملبوسات، وحصلوا على جاه وسلطان كبيرين، انطلاقاً من ظروف حياتية ملائمة وشريفة، وماذا بعد؟..

ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلِّغ، والمتجر الرابح: وعندما انتهت دنيا المتّقين، فازوا برضوان الله، من خلال زاد التقوى، الذي يجسّد التجارة الرابحة مع الله ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة:١٩٧].

ويشجّع القرآن الكريم على هذا النمط من التجارة مع الله:

﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الصف:١٠ ـ ١١].

والتجارة هنا على قسمين:

- تجارة تُكسِب المال في الدنيا.
- وتجارة تُكسِب النعيم في الآخرة.

وعلى الإنسان المؤمن معرفة كيف يتاجر؟... ومع مَن يتاجر؟... وبماذا يتاجر؟ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ [النساء:٢٩].

إنّ الله تعالى أحبّ للإنسان أن يعمل ليكسب قُوْتَه بعرق جبينه، وهو في الوقت ذاته يكره العبد البطّال الفارغ، أحبّ للإنسان أن يعمل في الزراعة والصناعة والتجارة... وهو أيضاً، وفي وقت متزامن، يُحبّ للإنسان أن يتاجر بأفعاله الخيّرة مع الله، فيحصل على رصيد كبير، برأسمال عظيم يجده أمامه في يوم القيامة، فعلى من يرغب النجاة أن يأخذ بالتجارتَين معاً، فكما أن الله لا يريد لعباده أن يتركوا دنياهم، بل أن يعيشوها في إطار طاعته، وفي

الوقت ذاته أن يجعلوا دنياهم مزرعة مثمرة لآخرتهم.

يقـول الإمـام عليّ (ع) فـي تعبير عن مواقف التـوازن في حياة المسـلم: «**إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً**».

حالة الزّهد في حياة المتّقين

ومـن حالة التوازن بين الدنيا والآخرة يشـرح الإمام عليّ (ع) حالة الزهد في حياة المتّقين:

«**أصابوا لـذّة الزّهد في دنياهم...**»: كانـوا الزاهدين في الدنيا، بعد أن أصابوا بعض ملذّات الحياة، أكلوا جيداً، وشربوا، وسكنوا، وتلـذّذوا... فالزهد لديهم لا يتجسّـد بترك الطعام والشـراب، بل فـي إرادة تـرك الحرام مهما كانت الإغـراءات، وقد قال أحد أئمّة أهل البيـت (ع): «**ويحك... حرامها فتنكّبـه**» أي اجتنب الحرام، تكن من أفضل الزاهدين.

وقـد ورد: «**ليـس الزّهـد أن لا تَمْلُـكَ الدنيـا، بـل الزّهـد أن لا تَمْلُـكَكَ الدنيـا**» فـلا تكن عبـدَ شـهواتك، وعبدَ أموالـك، وعبدَ أطماعك، وعبدَ الناس من حولك.. الزهد في الدنيا أن تكون عبد الله، وأن تكون الدنيا ساحةَ العمل لتحقيق رضا الله تعالى.

وفـي الإطار ذاته يختصر الإمام علـيّ (ع) مفهوم الزهد بقوله:

«جمع الله الزّهدَ في كلمتين: لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم».

فأنت ـ كمسلم ـ حينما تعيش الدنيا، عليك أن تتوقّع الربح والخسارة، والنقصان والتمام... فعندما تعيش الخسارة عليك أن لا تسقط، ولا تعتبر ذلك نهاية الدنيا... فلا تحزن على ما فاتك، بل ادرس لماذا فاتك؟.. ما أسباب الفشل أو الخسارة أو الهزيمة؟... ثم حاول أن تأخذ العبرة وتتفادى ذلك في المستقبل، أي لا تستسلم لحالة الانفعال، بل استخدم العقل كميزان للتوازن.

وفي الجانب الآخر يقول الإمام (ع): «**ولا تفرحوا بما آتاكم...**»، أي عندما تربح وتحصل على ما تريد وترغب، عليك أن لا تستسلم لحالة النشوة والفرح اللّامحدود، فتصفّق وتهلّل بصورة هستيريّة... عليك أيضاً أن تدرس أسباب النجاح، لتستفيد أكثر في المستقبل.

أيّها الإنسان... أيّها المسلم... واجِه الدنيا بكلّ عناصرها بعيداً عن كلّ عالم الانفعالات، سواء كانت انفعالات فرح أو حزن.

أعطِ نفسك فرصة أن تفرح، ولكن احذر أن يصبح فرحك بطراً، ثم أعطِ نفسك فرصة أن تحزن، ولكن احذر أن يتحوّل حزنك جزعاً.

العقل هو ميزان التوازن

إنّ الله سبحانه وتعالى أراد لنا أن نتحرّك، وفي إطار الحركة هذه أن نواجه الأوضاع الإيجابيّة والسلبيّة بحكمة وصبر وشجاعة، فنحرّك عقولنا لندرس عوامل السّلب وعناصر الإيجاب، من أين أتت؟.. وكيف حصلت؟.. في القضايا الكبيرة أو الصغيرة، في الحياة السياسيّة أو الاجتماعيّة أو العائليّة...

إحرص على أن تشغّل عقلك، أما إذا أردت أن تشغّل قلبك، اجعله في خدمة عقلك، فقبل أن ينبض ليعبّر، عليه أن يستشير العقل، فيحبّ ما ارتكز على أُسس موضوعية، ويكره ما ارتكز أيضاً على أُسس موضوعية.

المشكلة في الشّرق أنّنا عاطفيّون، تُحرِّكُنا العاطفة في بيوتنا، وفي علاقاتنا، وفي تجارتنا، وحتى في ديننا... مع العلم أنّ الله تعالى أعطانا العقل، والعقل حجّة الله علينا، في الحديث القدسي الوارد عن أحد أئمّة أهل البيت (ع): «**أنّ الله عندما خلق العقل قال له: أقبِل، فأقبَل، ثمّ قال له: أدبِر، فأدبَر، ثمّ قال: وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً أعزَّ عليَّ منك، إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وبك أُثيب، وبك أُعاقب**».

فالإنسان يُثاب على قدر عقله، ويُعاقب أيضاً على قدر عقله،

وهـذا يفـرض علينـا تربية عقولنـا بالأهميّـة ذاتها التـي نرعى بها أجسـادنا، لنفكّـر فـي كلّ شـيء، ولنفكّـر معاً في كلّ شـيء... لا نسـمح للآخرين بأن يفكّروا عنّا، ويفرضوا علينا قناعاتهم، فنحن بذلك نكـون قد جمّدنا عقولَنا، واستسـلمنا لمخطّطات الآخرين ومصالحهم... المهم هو أن تفكّر، وإذا لم يكفك فكرك، اسـتعن بفكر غيرك، لا تقلْ فكّر لنا، بل قلْ فكّر معنا.

حتـى الأطفـال، يقول التربويـون، دعوهم يفكّـرون، إذا طلبوا منكم حلّ معادلة أو مسألة، لا تسارعوا إلى حلّها، بل ليجرّبوا أولاً، ويُوجِدوا الحلّ بأنفسهم، وإذا أخطأوا نقوم بالتنبيه والتوجيه.

ثـمّ إنّنا نعود إلى القول: مشـكلتنا أنّنا عاطفيّـون، تُقيمنا كلمة، وتُقعدنا كلمة.. قد نهتف ونهلّل ونصفّق، ولو سألنا أحدهم لماذا كلّ هـذا؟.. فمـاذا يكـون الجـواب؟.. الهاتفـون هتفـوا، فهتفنا، والمهلّلـون هلّلـوا، فهلّلنـا، والمصفّقون صفّقـوا، فصفّقنا... إنّنا شعب عبّر عنا أحد الشعراء، «عقله في أذنيه».

لننطلـق مـن إرادة العقـل، بحيـث لو سُـئلنا لماذا؟.. نسـتطيع أن نقـدّم الدليـل، لنحرّك عقولنا، كما نحرّك أجسـادنا، فالجسـم يكتسـب القـوّة والحيويـة بالحركـة والرياضة، وكذلك يكتسـب العقل الحيوية بالبحث والتفكير.

علينـا العمل دائماً بتقوية عقولنا، مـن أجل أن نوظّف عواطفنا وانفعالاتنـا فـي خدمة عقولنـا، فلا نتحـوّل إلى شـعب الهتافات والحماس، لننسجم مع القرآن الكريم في توجيهه وإرشاده.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤].

﴿لَهُـمْ قُلُـوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَـا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِـرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْـمَعُونَ بِهَـا أُوْلَـئِـكَ كَالأَنْعَـامِ بَلْ هُمْ أَضَـلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الحذر من الموت بالاستعداد للآخرة

ثمّ إنّ المتّقين بعد أن أصابوا لذّة الزهد في دنياهم:

«**تيقّنـوا أنّهـم جيران الله غداً في آخرتهـم...**» وهناك على ماذا يحصلـون؟.. «**لا تُردُّ لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة**».. لهم فيها ما تشـتهي أنفسهم، كما يقول الله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾** [فصلت:٣١].

﴿وَسَـارِعُواْ إِلَـى مَغْفِـرَةٍ مِّـن رَّبِّكُمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُهَا السَّـمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

فاللـه تعالى يجزيكم كلّ مـا تتمنّوا، الجنّة لكـم، وهناك خذوا

حريّتكم: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤].

فحذارِ أن تضحّوا بنعيم الآخرة، والنعيم الخالد مقابل نعيمٍ يفنى ويزول، ويعبّر الإمام عليّ (ع) عن هذا الواقع: «**ما لعليّ ولذّة تفنى، ولنعيم لا يبقى**».

هل يجوز لعاقل أن يبيع نعيم الآخرة الخالد من أجل لذّة دنيوية بسيطة؟

«**فاحذروا عباد الله الموت وقربه...**» فالموت حقيقة لا ريب فيها، يعيشها العباد في كلّ مفردات حياتهم: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...**﴾ [لقمان: ٣٤].

على كلّ مسلم أن يحذر الموت، ويستعد «**إلى قبر لم أمهّده لرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي...**» كما عبّر عن ذلك الإمام زين العابدين (ع) في دعاء السّحر لأبي حمزة الثمالي، وعليه وعلى كلّ المسلمين أن يعدّوا لهذا القبر عدّته:

«**وأعدّوا له عدّته...**» أي رتّبوه، وهيّئوا له كلّ وسائل النجاة، فكما المسلمون في شهر رمضان المبارك يستعدّون للسّحور والإفطار، بمقدّمات وتقديمات يعيشون فيها حالة طوارئ يوميّة.

كذلك عليهم أن يستعدوا للموت وما بعد الموت، «**فإنّه يأتي بأمر عظيم...**» مصير أبـديّ ونهائيّ وخالد، «**وخطب جليل لا يكون معه شرّ أبداً، أو شرّ لا يكون معه خير أبداً...**»: هنـاك في الدار الآخرة الإنسان المتوفّى بين أمرين:

أن يُقبِـل على الخير كلّه، إذا كانت حياته الدنيا تتحرّك في خطّ الخير.

أو أن يُقبل على الشرّ كلّه، إذا كانت حياته الدنيا تتحرّك في خطّ الشرّ.

خير لا شرّ معه، وشرّ لا خير فيه

«**فمـن أقـربُ إلـى الجنّة من عامِلِهـا، ومن أقربُ إلـى النار من عامِلِهـا..**» فأقـربُ الناس إلى الجنّة مـن كانت حياته حبّـاً وخيراً والتزامـاً وطاعة لله، أي من كان يعمـل للجنّة، وأقرب الناس إلى النار من كانت حياته حقداً وشـرّاً، وتمرّداً ومعصية لله تعالى، أي من كان يعمل للنار.

«**وأنتـم طـرداء المـوت إن أقمتـم لـه أخذكـم، وإن فررتم منه أدرككـم..**» فالموت وراءكم يلاحقكم.. سـواء بقيتم في بيوتكم هادئين سـاكنين، أو هربتم منه في البراري والقفار فارّين تائهين.. فالمـوت سـيأتيكم حتماً، هـذه هي حقيقة إلهيـة: ﴿**أَيْنَمَـا تَكُونُواْ**

يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...﴾ [النساء:٧٨].

وعلى ذمّة التاريخ، والله أعلم إن كانت هذه القصة صحيحة: يُقال إنّ ملكَ الموت كان يزور النبيّ سليمان بن داود (ع) بين حين وآخر، ومن في المجلس كانوا يعرفونه. في إحدى الجلسات كان ملك الموت ينظر بدهشة إلى أحد الجالسين، فخاف هذا الأخير، وعرف أنّه يريده، هنا طلب هذا الشخص من النبيّ سليمان (ع) أن ينقله على بساط الريح إلى الهند، هرباً من ملك الموت، والله سبحانه أعطى سليمان (ع) القدرة ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦]، بعد أن نفّذ سليمان له طلبه في نقله إلى الهند، قال سليمان لملك الموت: إنّ ذاك الشخص كان خائفاً منك، وطلب مني أن أحمله إلى الهند، أجابه ملك الموت: ـ بعد أن انفرجت أساريره ـ لقد طلب الله تعالى منّي أن أقبض روحه في الهند، فتعجّبت من طبيعة وجوده في هذا المكان، والمسافة بين هنا والهند كبيرة، لذا فأنا ذاهب إلى هناك لقبض روحه وتنفيذ الأمر.

ثمّ يتابع الإمام عليّ (ع) في وصف حركة الموت:

«**وهو ألزَمُ لكم من ظلّكم..**» فكما يرافق الظلّ الإنسان في سيره، كذلك اليوم يمشي معك، ففي كلّ يوم تموت فيك خلايا، وتأتي أخرى.. إنّك في كلّ يوم تنتزع من الرزنامة ورقة، فبها

تكــون قد انتزعت يوماً مــن حياتك.. أيّامنا ولياليناتتســاقط يوميّاً من عمرنا كما تتساقط أوراق الأشجار في فصل الخريف.

دقّـــات قـلــب الــمــرء قـائـلـة له

إنّ الحيـاة دقائـق وثـوانِ

«**وهــو معقود بنواصيكم...**» والناصيــة هي أعلى الجبهة، وفي وسطها شعار دائم: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠].

«**والدنيا تُطوى من خلفكم..**» فكم هو عمرك الآن؟ وكم طُوي منه؟..

المستند (٣)

«**... فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَــدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْـسَ فِيها رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْـمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَـرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ. وَإِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْـتَدَّ خَوْفُكُـمْ مِنَ اللـهِ، وَأَنْ يَحْسُــنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُـوا بيْنَهُمَا، فَـإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْــنُ ظَنِّهِ بِرَبِّـهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لله.**

وَاعْلَـمْ يَـا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِـي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَـمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِـي أَهْـلَ مِصْـرَ، فَأَنْتَ مَحْقُـوقٌ أَنْ تُخَالِـفَ عَلَى نَفْسِـكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَـاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلاَ تُسْخِطِ اللـهَ بِرِضَى أَحَد مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللـهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ

اللـهِ خَلَفٌ فِي غَيْـرِهِ. صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّـتِ لَهَا، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْـتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ.

ومنه: **فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ، وَلَقَـدْ قَالَ لِي رَسُـولُ اللـهِ (ص): إِنِّي لاَ أَخَـافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنـاً وَلاَ مُشْـرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِـنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْـرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِـرْكِهِ. لكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُـمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**».

الحذر من عذاب النار

ثـمّ إنّ الإمام سـلام الله عليه يريد منّـا أن نحذر النار في الحياة الدنيا، بأن نبتعد في أقوالنا وأفعالنا ومواقفنا عن كلّ ما يقرّبنا منها، ويجعلنـا من أهلها، فيقـول: «**فَاحْذَرُوا نَـاراً قَعْرُهَا بَعِيـدٌ، وَحَرُّهَا شَـدِيدٌ، وَعَذَابُهَـا جَدِيـدٌ..**». وكان رسـول الله (ص) مـن قبله قد حـذّر منها بتعاليمه التي تشـرح وتوضح وتقـرّب وتبعّد، فقد ورد عنه (ص): «**ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة ويباعدكم عن النار إلاّ وقد أمرتُكم به، وما من شيء يقرّبكم من النار ويباعدُكم عن الجنّة إلاّ وقد نهيتُكم عنه**».

فمـا أمر به الله فإنّـه يقرّب إلى الجنّة، وما نهـى عنه فإنّه يقرّب

إلى النار إذا ما فعله الإنسان، وعلى ضوء ذلك، لا بدّ لهذا الإنسان من أن يحسب حساباته، ويتحمّل مسؤولياته بشكل إلزامي.

في الإسلام واجبات ومحرّمات، وفي مقدمة الواجبات: الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك.

- **الالتزام بالصلاة**: إنّ الله تعالى جعل الصلاة العمل الأساس الذي لا قيمة لآخر بدونه: «**الصلاة عمود الدين إنْ قُبِلَت قُبل ما سواها، وإنْ رُدّت رُدَّ ما سواها**». فالإنسان التارك للصلاة هو إنسان قريب من النار، ويستحقّ العذاب، في حوار أخروي بين أهل الجنّة وأهل النار: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين**﴾ [المدّثر: ٣٨ ـ ٤٣]. إذن، ترك الصلاة ـ بنصّ القرآن الكريم ـ هو من الأسباب التي تجعل الإنسان يستحقّ دخول النار.

- **الالتزام بالصوم**: والأمر ذاته يَرِد بالنسبة إلى الصوم، فقد ورد في الحديث: «**الصوم جُنّة من النار**»، والجُنّة تعني الدّرع الذي إذا لبسته حماكَ من الأخطار التي قد تهدّدك، وفي حديث قدسي عن الله تعالى: «**كلُّ عمل ابن آدم له، إلاّ الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به**» لأنّ الصّوم ليس له مظهر يشير

إليه، بينما يتحقّق مظهر الصّلاة بالركوع والسّجود والتكبير والقراءة.. فالصوم يعيش في عمق الصائم، بحيث لا يُشرِف على حقيقته إلاّ الله تعالى.

- **الالتزام بالزكاة والخمس**: في الآية الكريمة التي وردت في حوار أهل الجنّة مع أهل النار: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ*قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ*وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾ [المدّثر:٤٢ ـ ٤٤]. وهو كناية عن الحقوق الشرعيّة التي جعلها الله تعالى للفقراء: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...**﴾ [الأنفال:٤١]، ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٦٠].

إذن من الأمور التي تُوجب دخول النار هو في أن يمنع الإنسان الحقّ الذي فرضه الله للفقراء والمساكين وأبناء السبيل وغيرهم.

إنّ قضيّة الحقوق الشرعية أمر عباديٌّ مُلزم، وعلى سبيل المثال في إطار الخمس: إذا كنت تملك خمس ليرات، فأنت في الحقيقة تملك أربع ليرات فقط، واللّيرة الأخرى هي للفقراء، لا تستطيع أن تتصرّف بها، وإلاّ فإنّك تُعتبر سارقاً ﴿**وَالَّذِينَ فِي**

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ*لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم﴾ [المعارج: ٢٤ ـ ٢٥]، ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] فما تنفقه من مالٍ هو من مال الله تعالى الذي جعلنا وكلاء عليه: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، إنّ الخُمس والزّكاة والصّدقات هي من الرصيد الاحتياطيّ للمجتمع المتحرّك، الرصيد الذي يرعى الحالات الاجتماعية الصعبة: الفقر، اليتم، الصمّ، البكم، الإعاقة، التشويه أو ما أشبه ذلك... إنّ هذه الحالات لا بدّ وأن تتمّ رعايتها من أجل أن نعيش الحياة الكريمة العزيزة.

وفي الواقع الإسلاميّ المعاصر نلاحظ أنّ المؤسّسات الاجتماعيّة والتربويّة والخيريّة قد تموّل من الحقوق الشرعيّة من أجل التعليم والطبابة والمساعدة... ثمّ إنّ هناك نقطة أساسيّة، من الجدير الإشارة إليها، وهي أنّ مورد الحقوق الشرعيّة استطاع أن يحرّر الواقع الدينيّ والقيادات الروحيّة العاملة والمجاهدة، يحرّرها من الخضوع لسلطة المال والجاه، ومن الشواهد البارزة على ذلك الحوزات العلميّة الموجودة في الواقع الشيعيّ (النجف الأشرف، وقم المقدّسة...) التي لم تلجأ إلى تمويل السّلطات الحاكمة. لذلك كنّا نجد أنّ مراجع الشّيعة وعلماءها كانوا مستقلّين في مواقفهم السياسيّة والاجتماعيّة، حتى إنَّ بعض

العلماء كانوا يستقيلون من إدارة مساجدهم، إذا ما شعروا بأنّ إدارة الأوقاف الحكوميّة تفرض لهم رواتب ماليّة، وأكثر من ذلك أنّ العالِم الدينيّ الذي يأخذ من مال الدولة يسقط من أعين الناس، لذلك رأينا أنّ التشيّع اكتسب قوّة ومناعة في مواجهة الضغوط.

الإمام الخميني (قدّس الله سرّه) لم يسمح، في إطار دولته الإسلاميّة أن تخضع الحوزة للدولة، حتى يضمن لها استقلاليّتها وحريّتها في اتّخاذ القرارات التي تراها صائبة.

إنَّ الحقوق الشرعية تمثّل ـ كما قلنا ـ الرصيد المتحرّك في الواقع الاجتماعي، الرصيد الذي يعطي المجتمع المدني استقلاله وحريّته، وفي الوقت ذاته يساهم في معالجة مشكلات الطبقات المحرومة، فالمياتم والمبرّات والمراكز الصحيّة والاجتماعيّة كثيرٌ منها يُموَّل من الحقوق الشرعية، التي يجب أن يتحمّل مسؤولية إدارتها المؤمنون من جهة تكليفهم الشرعي.

- **الالتزام بالحجّ**: أما بالنسبة لفريضته فإنَّ الله تعالى فرضها على كلّ مكلّف قادر: ﴿**وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران:٩٧]. إنَّ فتاوى الحجّ تقول بوجوبه الفوري متى استطاع إليه الفرد المسلم، إذ لا يجوز تأخيره للسّنة الثانية، ويؤكّد ذلك تمام الآية الكريمة: ﴿... **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل

عمران:٩٧]. وقد ورد في الحديث: «**من استطاع الحجّ ـ ولم يحجّ ـ فليمت إن شاء يهوديّاً أو نصرانيّاً**» بعض الناس يكتب في وصيّته سنوات صلاة وصوم وفريضة حجّ وغيرها، فهل فعل كهذا يخفّف عنه العقاب؟.. إن كلّ هذا دَينٌ في ذمّة الإنسان، سوف يحاسَب على تركه أو تأخيره، ولا يظنّنَّ أحد أنَّ القضاء عن الميت يمنع العقاب تماماً.

طبيعة العذاب في الآخرة: «**فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ...**» أي الذي يتجدّد دائماً.

«**دارٌ ليس فيها رحمة..**»، ويُعبّر عن ذلك بنداء أهل النار لخازنها: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧].

«**ولا تُسمَع فيها دعوة، ولا تفرّج فيها كربة...**»: ثمّ إنّ أهل النار يلجأون إلى أهل الجنّة من أجل أن يفرَّج عنهم بعض الكربات ويخفَّف عنها شيئاً من العذاب: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [الأعراف:٥٠].

إنَّ الله تعالى قدّم إلى عباده الفرص الذهبية للعودة عن غيّهم وضلالهم ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...**﴾ [غافر:٦٠]، وقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ [التحريم:٨]. ولكنّ البعض لم يسمع كلّ هذه الدعوات، واستمرّ في قطع كلّ الجسور التي كان يمكن أن تصله بالله سبحانه وتعالى.

المؤمن بين الرجاء والخوف

ثم يتابع الإمام عليّ (ع) وصاياه لواليه محمد بن أبي بكر بالتركيز على حالتَي الخوف والرجاء اللّتين يجب أن يعيشهما المؤمن في علاقته بالله تعالى، فيقول له:

«**وإن استطعتم أن يشتدَّ خوفكم من الله، وأن يَحسُن ظنّكم به، فاجمعوا بينهما، فإنّ العبد عندما يكون حُسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه..**» أي أن يعيش المؤمن بين الخوف والرجاء، فيكون الخائف من الله، ويكون الراجي، ورد في الحديث: «**خِفِ الله خوفاً لو أتيته بحسنات الثقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاء لو أتيته بذنوب الثقلين لعفا عنك**».

ما من عبدٍ مؤمن إلاّ وفي قلبه نور خيفة ونور رجاء، الخوف الذي يمنع من المعصية، والرجاء الذي يمنع من اليأس.

﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

فإنّ العبد إنّما يكون حُسن ظنّه بربّه على قدر خوفه منه، أي أن يعيش حالة التوازن، فتفكّر في مغفرة الله ورحمته عندما تحسّ بالذّنب، وفي الوقت ذاته تفكّر بعقاب الله وعذابه، وهو ما نردّده في كلّ ليلة من شهر رمضان من خلال دعاء الافتتاح: «**وأيقنتُ أنّك أنتَ أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النَّكَالِ والنّقمة**». ثمّ إنَّ الإمام يختصر هذا التوازن في شخصية المسلم بقوله: «**وإنّ أحسن الناس ظنّاً بالله، أشدّهم خوفاً لله**».

من واجبات الحاكم المسلم

ثم يعدّد الإمام (ع) بعض واجبات الحاكم:

- **مخالفة الهوى**: «**واعلم يا محمد بن أبي بكر... أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي، أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك...**»: أي أن لا تخضع مسؤوليّتُك العامة لهوى نفسك، بل أن تخضع نفسُك لمسؤوليّتك، بحيث تتحرّك نفسُك على أساس القيام بما هو مفروض عليك، لتحافظ عليه وتحميه من هوى مزاجك.

- **الدفاع عن الدين**: «**وأن تنافح عن دينك...**» أن يكون دورك الدفاع عن حياض الدين، تدافع عن دينك في داخل نفسك

ضدّ وساوس الشيطان، وتدافع عن دينك ضدّ أعداء الله، فتوظّف كلّ قِواك البدنيّة وقدراتك الماديّة وطاقاتك الفكرية من أجل أن تسود تعاليم الله في دولة كريمة يُعزّ فيها الإسلام وأهله، ويُذلُّ فيها النفاق وأهله، وعلى أن يستمرّ هذا الدفاع ما دام في العمر بقيّة، وما دام لدى الإنسان قدرة «**ولو لم يكن لك إلاّ ساعة من الدهر**».

- **الغاية هي رضا الله تعالى**: وفي إطار العمل العام يقول الإمام(ع): «**ولا تُسخِط الله برضا أحد من الناس...**»: حاول ـ أيّها المسلم ـ أن تدخل في مقارنة في الأفعال التي تُدعى إليها، بين تلك التي تُرضي الله سبحانه وتعالى، وبين التي تسخطه، بعيداً عن رضا الآخرين وسخطهم، وعن المصالح والالتزامات، المهم هو أن تُحرز رضا الله، حتى ولو أدّى ذلك إلى أن تتضرّر مصالحك مؤقّتاً، فلتكن خشيتنا من الله، وتطلّعنا إلى رضاه. إنّ الإمام عليّاً (ع) يريد أن يؤكّد لنا: بأنّكم أيّها المؤمنون إذا اقتنعتم بأنّ في هذه الأشياء رضا الله ومحبّته، فعليكم أن تبادروا إليه حتى ولو كان كلّ الناس ضدّكم.

«**لا تُسخِط الله برضا أحد من خلقه، فإنّ في الله خَلَفاً من غيره...**» فإذا صادف أن حرمك شخص ما، فالله تعالى موجود،

فهو الرازق، وهو المعطي وهو العزيز وهو القويّ.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

«**وليس من الله خَلَفٌ من غيره...**» وفي المقابل نقول: إنّ الله تعالى إذا أراد أن يحرمك من شيء، فمن الذي يستطيع أن يعطيك.

في الدعاء اليومي نقول: «**يا من يكفي من كلّ شيء، ولا يكفي منه شيء، اكفني ما أهمّني ممّا أنا فيه، من أمور الدنيا والآخرة**».

إنّ الله تعالى هو الذي يكفيك من كلّ شيء، وإذا أراد أن يضرّك، فمن يستطيع أن يُوقف ضرّه؟ وإذا أراد أن يُمسِك رحمتَه عنك، فمن يستطيع أن يُسدِل رحمته عليك؟

الصلوات في أوقاتها

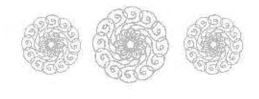
ثمّ يُوصي الإمام (ع) واليه بالصلاة: «**صلِّ الصلاة لوقتها المؤقّت لها، ولا تُعجّل وقتها لفراغ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أنّ كلّ شيءٍ من عملك تبعٌ لصلاتك..**» أن يعيش المسلم همَّ أداء الصلوات بأوقاتها وشروطها، كي تكون مقبولة وخالصة لوجه الله تعالى، يسارع إليها في حال سمع صوت الأذان، فقد قيل في المثل: «**الصلاة في أوّلها جزور، وفي**

آخرها عصفور» أي إنّ ثوابها في أول وقتها تكون بمقدار حجم الجمل (الجزور)، أمّا في آخرها فيكون ثوابها بمقدار العصفور، والفرق هنا كبير بين الجمل والعصفور. لنصلِّ الصلاة في أوقاتها، ولنحرص على أن نلتزم باحترام شروطها، ولنجتهد على أن نخشع ونخضع خلال القيام بمختلف أركانها، كما نؤكّد على ارتياد المساجد لأدائها، فصلاة الجماعة تحمل الثواب الجزيل، فقد ورد في الحديث: «**أنّ صلاة الجماعة إذا زاد عددها عن العشرة، لا يُحصي ثوابها إلا الله تعالى**»، فالله تعالى يريد لنا أن نجتمع على العبادة، وأن نعيش العبادة الاجتماعية حيث الجميع في مواقع الطاعة والمحبّة.

ثمّ يُنهي الإمام (ع) موضوع الصلاة بقوله: «**واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلاتك**» فالمسلم يمارس أفعالاً عباديّة صوم، زكاة، حجّ، عمرة، صدقات وما إلى ذلك، كلّ هذه العبادات تقف وراء الصلاة، التي هي معراج المؤمن إلى الله، فإذا قُبِلَت قُبِل ما سواها، وإنْ رُدّت رُدَّ ما سواها ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾ [الكهف:٤٦].

هذا هو الإمام عليّ بن أبي طالب، الإنسان المثالي الذي أحبّ الله ورسوله وأحبّه الله ورسوله، الإنسان النموذجيّ المعصوم الذي لا نملك إلاّ أن نحبّه، هذا هو الإمام العادي الذي قال: «**ألا**

وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد». تعالوا نقطع الحياة من خلال نهجه حتى نكون مع الحقّ، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم.





ومن خطبة له عليه السلام
ينبّه على إحاطة علم الله بالجزئيات
ويحثّ على التقوى ويبيّن فضل الإسلام والقرآن

المستند (١)

«يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ [٨] فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ [٩] اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

عظمة الله تعالى في عمق إيمان المسلم

إنَّ الحديث عن مواقع عظمة الله تعالى هو مقدمة لتركيز ملكة تقوى الله تعالى في عمق شخصية المسلم، فالمسلم كلّما تصوّر عظمة الله، تصوّر موقعه وموقفه بين يديّ الله، باعتبار أنّ هذه العظمة تجعل الإنسان يخشع ويخضع ويرتجف ويرتعد.

(٨) النينان: جمع نون وهو الحوت.
(٩) نجيب الله: المختار المصطفى.

﴿الَّذِيـَن إِذَا ذُكِـرَ اللّهُ وَجِلَـتْ قُلُوبُهُـمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِـمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

فالإنسـان في هذه الحالة من التصوّر يشـعر بأنّ وجوده مرتبط بالله تعالى، الله الذي إذا رفع رعايته، اختلَّ ميزان الوجود.

إنَّ التوجيـه الإسـلامي يؤكّد على تربية عظمـة الله في النفس، لتكون الأداة الفاعلة التي تحرّك تقوى الله في الحياة، لذلك نجد الإمام عليّاً (ع) يبدأ خطبته بالحديث عن مواقع عظمة الله ونعمه:

- «**يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ...**»

عندما نتطلّع إلى الفلوات بما تشمل من صحارى وقفار وجبال ووديـان، ونرى ما تتجمّع فيها من وحوش، ندرك التنوّع العجيب المدهش في الأشـكال والأنواع والألـوان، فلكل فئة طريقتها في إطلاق الأصوات، وطبيعة اللغات التي تسـتخدمها في التخاطب والتفاهم، إنَّ الله سـبحانه وتعالى الخالِق والعارِف بأسرار الخلق يعلم ويعرف عجيج هذه الأصوات في الفلوات، ويعلم أيضاً:

- «**معاصي العباد في الخلوات...**»

فالإنسان قد يشعر بالحريّة إذا ما خلا بنفسه، وشعر أنْ لا رقابة مباشـرة عليـه، فيمارس بعض المعاصي التي قد يسـتحي بها أمام الآخرين حتى الأطفال منهم.

إنّ الإنسان قد يرتدع عن الكذب والخيانة والسرقة والزّنا وشرب الخمر، خجلاً من رؤية الآخرين وكلامهم ومحاسبتهم، أمّا إذا شعر بالوحدة، وتلفّت يميناً وشمالاً فلم يرَ من ينظر إليه ويسمع، أخذ حريّته، إنَّ الإمام (ع) أراد أن ينبّه هؤلاء بحضور الله ورقابته وبالتالي حسابه، الله الذي ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر:١٩].

وفي هذا يحذّر الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ
خلوتُ ولكن قلْ عَلَيَّ رقيبُ

- «**واختلاف النينان في البحار الغامرات...**»

النينان هو جمع النون، والنون هو اسم من أسماء الحوت، وكلمة الحوت وردت في القرآن الكريم أثناء رواية قصّة النبيّ يونس (ع) الذي يُعرف بـ «ذي النون»: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ*فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٧ ـ ٨٨].

فالله تعالى العالِم بأسرار مخلوقاته يعرف اختلاف النينان واختلاف الحيتان والأسماك في البحار الغامرات المغطّاة

بالمياه، ونحن عندما ندرس عجائب عالَم السمك، أو نشاهد بعض أسراره على شاشات التلفزيونات، نجده عالَماً متعدّد الأنواع، ومختلف الألوان، ومتحرّكاً في أكثر من اتجاه.

وفي إطار المقارنة مع بعض عالَم الإنسان، نجد عالَماً يحاكي عالمنا، فهذا يأكل، وهذا يفترس، الكبير يأكل الصغير، إنّ الله سبحانه وتعالى نظَّم أرزاق الأسماك، كما قسّم أرزاق الناس وسائر الحيوانات في البراري والقفار.

- «**وتلاطم الماء بالرياح العاصفات...**»

ومن مظاهر عظمة الله سبحانه وتعالى هو هذه المياه المتوزّعة على الأنهار والبحار والمحيطات والوديان وغيرها، والتي فيها من العجائب والغرائب ما تعجز الألسن والأقلام عن الإحاطة بها، المياه المتلاطمة بعضها ببعض حينما تعصف بها الرياح العاصفات... فالله تعالى هو الذي يتحكّم بحركتها والنظام الذي يحكم بيئتها. فهو سبحانه مطّلع على كلّ أسرارها، لا يخفى عليه شيء منها.

ثمّ إنَّ الإمام عليّ (ع)، بعد هذه الصورة المصغّرة عن علم الله المحيط والواسع، ينطلق إلى الإشارة إلى الرسول «**نجيب الله، وسفير وحيه، ورسول رحمته**»، والرسول المصطفى والسفير

الإلهـي إلى خلقه، الرسـول الـذي نرتبط من خلال رسـالته بالله تعالـى في أقوالنـا وأفعالنا ومواقفنا انطلاقاً مـن التوجيـه الإلهي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]. فمـن أطاع الرسـول فقد أطاع الله، وطاعتـه تمثّل الرحمة والأمن والسـلام ﴿وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيـنَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ومظهر رحمته تبرز في توفير كل سُـبل الهداية: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

ثـمّ يتوجّه الإمام عليّ (ع) إلـى مفهوم التقوى ليُتحِفنا بمواعظ ووصايا.

مستند (٢)

أَمَّـا بَعْـدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْـوَى اللهِ الَّذِي ابْتَـدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُـونُ مَعَادُكُمْ، وَبِـهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَـى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْـدُ سَـبِيلِكُمْ، وَإِلَيْـهِ مَرَامِـي مَفْزَعِكُمْ، فَـإِنَّ تَقْوَى اللـهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفِئِدَتِكُمْ، وَشِـفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلاَحُ فَسَـادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِـكُمْ، وَجِلاَءُ عَشَـا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.

«أُوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم...»

وتقوى الله هو الشـعور الدائم بحضوره ورقابته وحسـابه، من

أجل أن نحتاط ونحذر ونخاف من كلّ ما نقوله ونفعله ونفكّر بما يحوم في عقولنا من خيرٍ وشرّ، فالله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هو مطّلع على كلّ أسرار حياتنا، حيث سنقف بين يديه غداً للحساب.

اتّقوا الله تعالى وتعاملوا معه خوفاً وطمعاً، فهو الذي خلقكم ويعرف كلّ أسرار وجودكم، إنّه أساس هذا الوجود، «**وإليه يكون معادكم**»، فإليه سنرجع، ﴿**وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران:٢٨].

- «**وبه نجاح طلبتكم**»

والإنسان في حياته له حاجات وطلبات، وكلّها بيد الله الخالِق المهيمن على الأمر كلّه، والذي يملك الوجود كلّه، وعلى هذا علينا أن نتطلّع إلى الله تعالى بالطاعة والدعاء الذي يحقّق لنا النجاح بالحصول على ما فيه مصلحتنا ونجاحنا.

- «**وإليه منتهى رغبتكم..**»

والإنسان قد يرغب في آمال أو حاجات، وقد يطلبها من آخر مثله، ولكنّ هذا الأمر محدود، وقدراته محدودة، بحيث لا يستطيع أن يحقّق إلا ما يريده الله سبحانه وتعالى، لذلك نرى الإمام (ع) يعتبر أنّ الله هو منتهى الرغبة، الله القادر على كلّ شيء، والذي لا يحدُّ قدرتَه شيء.

- «**ونحوه قَصْدُ سبيلكم...**»

والإنسان الذي يريد النجاح في مساره الحياتي عليه أن يرنو إلى خطّ الاستقامة، الذي هو سبيل الله ﴿**الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت:٣٠]، ﴿**وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النحل:٩]، فكلّ الطرق ستنتهي إلى الله تعالى مهما تعدّدت وتنوّعت، ونحن عادةً نقرأ في الدعاء «**هاربٌ منكَ إليك**» فإليه المآب وإليه العودة.

- «**وإليه مرامي مفزعكم...**»

والإنسان التقي الوَرِع هو الذي يعتبر المفزع والملاذ الذي يلجأ إليه العباد لينجّيهم ويخلّصهم ويحميهم ويرعاهم.

نتائج التقوى

ثمّ يصف الإمام عليّ (ع) نتائج التقوى فيقول:

- «**فإنَّ تقوى الله دواءُ داءِ قلوبكم...**»

فالقلوب، كما الأجساد، تصاب بأمراض نفسية: الشك، الحسد، الحقد.. وتقوى الله تعالى هي الدواء الشافي، فالقلب عندما ينفتح على الله، ويخشع له، ويعيش رقابته وحضوره، فإنّه يعيش الطمأنينة والأمن والسلام ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨]،

فالانفتاح على الله من شأنه أن يُبدِّل الشكّ باليقين والحقد بالمحبة، والحسد بالإيثار... وكلّها من مفردات ملكة التقوى.

- «**... وبصرُ عمى أفئدتكم...**»

فالعمى والبصر على قسمين:

- عمى العين وبصرها، والذي يتمثّل بالرؤية وعدمها من خلال العيون في الوجه.

- عمى القلب وبصيرته من خلال الوعي وعدمه في القلب ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج:٤٦]، هناك أُناس يملكون بصراً جيداً، ولكنهم يفتقرون إلى وعي بصري في قلوبهم وعقولهم، وهناك أناس يفتقرون إلى بصر العين، فهم عميان لا يرون معالِم طريقهم، ولكنّهم يملكون الوعي والانفتاح والبصيرة أفضل من المبصرين.

في هذا المجال يُروى عن الشاعر الأعمى «بشّار بن برد» أنّه كان واقفاً في أحد الأزقة، فجاءه شخص يسأل عن بيت أحدهم، فبدأ بشّار يصف له مكان البيت أكثر من مرّة، وهو لا يعرف، حتى قال له: تعال ودلّني عليه، فأخذ بشّار بيده وهو يُمسك بعصاه، ويقول:

أعمًى يَقودُ بصيراً لا أباً لَكُمُ

قد ضلَّ مَن كانت العميانُ تهديه

إذن، بعض الناس يملكون عيوناً بأبصار حادّة، ولكنّهم عميان في بصيرتهم ووعيهم، والله تعالى يخبرنا عن بعضهم يوم القيامة: ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾ [طه: ١٢٥ ـ ١٢٦].

الإنسان الذي ينسى ربّه، وينسى آيات ربّه هو بمثابة الأعمى الذي لا يدرك مصالحه، والتقوى هي الملَكة التي تُثير الوعي في القلب والعقل، فتشقّ للإنسان طريق الاستقامة والسلامة: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

- «**وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم..**»

ومن نتائج التقوى شفاء ما يطرأ على شخصيّة الإنسان من أمراض جسدية، وأمراض معنوية.

فمن جهة، وبفعل حالة الاطمئنان النفسي الذي يعيشه المؤمن من خلال العبادة التي يشعر في إطارها محبّة الله ورعايته وتوفيقه ورضوانه، وبالتالي سلامة العاقبة التي تُبشِّر بالجنة وتنأى عن النار... هذه الحالة النفسية لا بدّ وأن تنعكس هدوءاً وسكينة

واسترخاء على سائر أجهزة الجسم، فتعمل بشكل طبيعي بعيداً عن كلّ حالات التوتر والقلق.

ولقد أثبتت كثير من الدراسات العلمية بإحصاءات دقيقة أنّ عدداً من الأمراض العضوية قد تكون أسبابها الرئيسة هي الأوضاع النفسية المتوتّرة التي تطرأ على الإنسان من خلال مشاكل حياتيّة واجتماعية وبالأخص تلك التي تتّصل بأمراض القلب والسكري والمعدة وبعض أنواع السرطان الخطير ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨].

ومن جهة أخرى تعالج التقوى الكثير من الأمراض النفسية والخلقية والسلوكية، فالمؤمن التقيّ هو من يعيش دوافع الخير في عواطفه ومشاعره وأحاسيسه، فيحبّ الإنسانُ للآخر ما يحبّه لنفسه، يعيش همّه، يُحسن إليه، يبادر إلى إغاثته، يصل من قطعه، يعفو عمّن ظلمه، «**نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه...**».

- «**... وطهور دنس أنفسكم...**»

وكما تُصلح التقوى فساد الصدور والعقول من دوافع الشرّ، كذلك هي تزكّي النفوس وتطهِّر العقول من دنس الخطايا والذنوب، وقذارات الحقد والبغضاء، ومن هنا نجد الإمام عليّاً

بـن الحسـين (ع) يُطلق على شـهر رمضان شـهرَ الطهور، الشـهر الـذي يُحسّ فيـه المؤمن بحضور اللـه تعالى، وهيمنتـه على كلّ تفاصيـل حياتـه، فيجـد المحبّـة والرعايـة والتوفيـق، لينطلق في ذلك إلى المسـارعة في أعمال الخير التي تعبّر عن الصفاء والنقاء والطهارة، وهذا هو قمّة ما يميّز شخصية الإنسان التقي الورع.

سـأل الإمام علـيّ (ع) النبيّ محمـداً(ص): **ما أفضـل ما يقوم به المؤمن في هذا الشـهر** (شـهر رمضان)، قال (ص): **الورع عن محارم الله.**

المشـكلة لدى عدد من الناس هو أنّهم يعيشـون الذهنية العبقرية، فالعقرب من طبيعته أن يلسع كلّ شيء يصادف طريقه، يلسع الحجر والحيـوان والإنسـان، وبعـض النـاس ـ مـع الأسـف ـ مـن طبيعتهم الأذى، فهـم لا يشـعرون بالراحـة إذا لم يمارسـوا الأذى على الذين من حولهم، إنّهم في الواقع من الأشـقياء الذين لا يعيشـون الروحيّة المنفتحـة علـى إنسـانية الآخـر، لا يعيشـون التقـوى فـي علاقتهـم وأخلاقهم وسـلوكهم... فهـم قد يرتادون المسـاجد، ويعتكفون في ليالـي القدر، ويسـتغرقون في صلاة الليل، ويقطعون المسـافات من أجل الحجّ والعمرة وزيارة المقامات الشريفة... ولكنهم لا يلتزمون الأخـلاق الفاضلـة فـي معاملتهـم لأهلهـم وجيرانهـم ومحيطهـم الاجتماعـي، فالجميع ينفرون من سـوء أخلاقهم وفساد سـلوكهم،

إنّهم مؤمنون في الظاهر، ولكنّهم لا يعيشون طهر الباطن.

إنّـه مؤمـن يمارس الصـلاة، وحتى تصبح صلاتـه مقبولة قولاً وفعـلًا، عليه أن يعيـش إيحاءات الصلاة التي تنهى عن الفحشـاء والمنكر، ويعيش مفاهيم العدالة، فيكون عادلاً مع الناس وفي كلّ أحواله، ويعيش أخلاق الرحمة مع زوجته وأولاده وجيرانه، «**مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد مِن الله إلاّ بُعداً**».

ليـس المهم عدد الركعات التي تقوم بها، ولكن ما هو مهم هو أن تمارس الخشـوع والخضوع والاستسـلام لـرب العالمين في ركوعـك، فأنـت حينما تقول في ركوعك «سـبحان ربّـي العظيم وبحمـده» فأنت تتمثّل عظمة اللـه في عقلك وقلبك، لتمنعك من أذى مـن لا يجوز لك أذاهم، من خلال شـعورك برقابة الله الذي لا يكون أهون الناظرين إليك.

نتائج تزكية النفس

وفـي العـودة إلـى كلمة الإمـام علـيّ (ع) في صفـات المؤمن التقـيّ: «**نفسـه منـه في عنـاء، والناس منـه في راحة، أتعب نفسـه لآخرته، وأراح الناس من نفسه**».

فالإنسان الذي يسعى إلى تزكية نفسه وتطهيرها من كلّ الأدران والأرجاس، هو الإنسـان الذي ينشـر الأمن فـي محيطه، والراحة

فـي مجتمعه، لا يؤذي أحـداً، ولا يعتدي، ولا يغتاب، ولا يحقد، ولا يحكم إلاّ بالعدل... بحيث إذا سألنا عنه، قيل: إنّه خيّر، لم نرَ منه إلاّ الخير، ولم نسـمع عنه إلاّ الخير، إنّه يعيش الاسـتقامة من خلال رقابة الله، وجهاد النفس.

علـى الجميع أن يعرف الحقيقة التالية: ليس الدين هو أن تُكثِر من الصلاة، وأن تحرِّك لسانك بعبارات الدين، الدين هو أن تعيش إنسانيتك في إنسانية الآخر، أن تكون إنساناً تتحسّس إنسانيتك في إنسـانية الناس، وهو ما عبّر عنه الرسول الأعظم (ص): «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها**».

ومن نتائج تزكية النفس أن نعيش العدالة في علاقاتنا الإنسانية، فننأى عن العصبية، التي تمثّل الداء الدويّ، العصبية التي لخّصها الإمام عليّ بن الحسـين (ع) في بعض مـا رُويَ عنه: «**إنّ العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شـرار قومه خيراً من خيار قومٍ آخرين**».

بمعنى أنّ الإنسـان الشـرير أفضل من الإنسـان الخيّر، وهذا ما نعيشـه واقعاً وحركة في علاقاتنا على مسـتوى العائلة أو الحزب أو الحركـة أو المنظّمة أو الوطن... فأنـت تنظر إلى الآخر بالعين السـوداء، وتنظر إلى القريب منك بالعين البيضاء، عين الرضا كما يقول الشاعر:

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلة

ولكـن عين السُّـخط تُبدي المسـاوئا

المتعصِّب لا يتمتّع بشـفافية إنسـانية، إنّه يعيش روح الوحش، لأنّـه يرغـب في افتـراس مَنْ تَعصَّـب عليه بكلامه وقوّتـه وكلّ ما لديه.

إلى التواصل والتباذل

إنّها وصيّـة الإمام علـيّ (ع): «**عليكم بالتواصـل والتباذل**»... تواصلـوا مـع بعضكم البعض، بصـرف النظر عمّـا يحصل بينكم من اختـلاف في وجهات النظر... إنَّ القطيعة بين الأخوة ليسـت مـن الديـن، وليسـت مـن خُلُـق الاسـتقامة الذي بشّـر بـه القرآن الكريـم ﴿**إِنَّ الَّذِيـنَ قَالُـوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِـمُ الْمَلَائِكَةُ...**﴾ [فصلت:٣٠]، ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [الشـورى:١٥]، ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَاتَّبِعُـوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

ويتابـع الإمـام كلامـه فـي نتائـج خلـق التقوى على شـخصية المسلم واستقامة سلوكه:

- «**وجلاء غشاء أبصاركم...**»

فقد تغطّي الأبصارَ غشـاواتٌ قد تحجب عنها وضوح الرؤية، وبالتقوى تنجلي الغشاوة المعنوية، ويعود البصر الروحي ليضيء كلّ جوانب القلب والعقل والوجدان.

- **«وأمنُ فزع جأشكم...»**

والجـأش هو مـا يضطرب في القلب عند الخـوف، فإذا أحاط بكم الخوف أو الفزع من أيّ أمرٍ يسـوؤكم، فإنّ التقوى تعيد لكم أمنكم وتوازنكم.

- **«وضياء سواء ظلمتكم...»**

ونور التقوى أيضاً من شـأنه أن يضيء لكم سـواء الظلام، لأنّه يفتح لكم الطريق بإشراقة الله، وإشراقة شريعته.

هذه هي صفة التقوى في نتائجها الإيجابية على روحية الإنسـان، ثمّ يمضي الإمام (ع) في التوجيه نحو طاعة الله سبحانه وتعالى.

مستند (٣)

«فَاجْعَلُـوا طَاعَـةَ اللـهِ شِـعَاراً[١٠] دُونَ دِثَارِكُـمْ، وَدَخِيـلًا دُونَ شِـعَارِكُمْ، وَلَطِيفـاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُـمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُـمْ، وَمَنْهَلاً

(١٠) الشِّعار: ما يلي البدن من الثياب.

لِحِينِ وِرْدِكُم، وَشَـفِيعاً لِدَرَكِ [١١] طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً [١٢] لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَـكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُـمْ، فَـإِنَّ طَاعَـةَ اللـهِ حِرْزٌ مِـنْ مَتَالِـفَ مُكْتَنِفَـةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَـةٍ، وَأُوَارِ [١٣] نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ [١٤] عَنْهُ الشَّـدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْـدَ مَرَارَتِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْـهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا [١٥]، وَهَطَلَـتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَـةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَـتْ عَلَيْهِ [١٦] الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا [١٧].

فَاتَّقُـوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُـم بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَـالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُـمْ بِنِعْمَتِـهِ، فَعَبِّـدُوا أَنْفُسَـكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُـوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

---

(١١) الدَرَك: اللحاق.

(١٢) الجُنّة: الوقاية.

(١٣) أوار: حرارة النار ولهيبها.

(١٤) عَزَبَت: غابت وبَعُدَت.

(١٥) إنصابها: إتعابها.

(١٦) تحدّب عليه: عطف عليه.

(١٧) أرذت إرذاذاً: مطرت مطراً خفيفاً.

من إيجابيات طاعة الله تعالى

يصف الإمام عليّ (ع) إيجابيات طاعة الله تعالى من خلال وصايا ينصح بها كلّ المؤمنين:

- «**فاجعلوا طاعة الله شِعاراً دون دثاركم...**»: الدِّثار هو ما يلبسه الإنسان، والشِّعار هو ما يكون فوقه.

والمعنى هنا هو أن تجعلوا طاعة الله تعالى عنوان شخصيّتكم، فهي الشِّعار الذي يحميكم، ويحمي شخصيّتكم.

- «**ودخيلاً دون شعاركم...**»

وطاعة الله شيء يدخل في عناصر شخصيّتكم، بحيث يعيش في عمقها، ويرتكز عليه شِعارها الذي يميّزها، ويشير إلى استقامتها وكمالها.

- «**ولطيفاً بين أضلاعكم...**»
- وطاعة الله تعالى أمر لطيف يمكن أن يحقّق لكم الراحة، بحيث تحتضنه ضلوعكم، وما تحويه الضلوع دليل على اللطف والمحبّة والرحمة والراحة والسكينة.
- «**وأميراً فوق أموركم...**»

أي اجعلوا طاعة الله بمنزلة الأمير الذي يقود أتباعه... بمعنى أنَّ

كلّ أموركـم الصغيـرة والكبيرة يجب أن تكون تحـت إمرة طاعة الله تعالـى، بحيـث لا تخطو خطوة، ولا تتحرّك حركـة إلاّ بعد أن تتحقّق من رضا الله سـبحانه وتعالى، سـواء كان في إطار الشـؤون الخاصّة أو العامّـة، في البيت أو الموقـع أو العمل أو الحياة... أي أن لا يبتعد الفرد عن طاعة الله، كما القائد الذي لا ينبغي أن يبتعد عن جنوده.

- «**ومنهلاً لحين ورودكم...**»

والمنهل هو المورد الذي يشرب الناس الماء منه... وما يقصده الإمام (ع) هنا: هو أن تجعلوا أنفسكم في طاعة الله تعالى، كمثل الإنسان الذي يرد الينابيع ليشرب منها الماء الصافي.

- «**وشفيعاً لدرك طلبتكم...**»

ثمّ اجعلوا طاعة الله تعالى الشـفيع الذي تقدّمونه ليشـفع لكم أمام الله، ليحقّق لكم من خلاله مطالبكم، فطاعة الله هي الشـفيع الذي ستجدونه أمامكم، ويحقّق لكم أمانيكم وحاجاتكم.

- «**وجنّة ليوم فزعكم...**»

واجعلـوا طاعـة اللـه تعالـى الـدرع الذي يفـزع إليه الإنسـان ليحميه، ويتّقي كلّ حالات الخوف والخطر.

- «**ومصابيح لبطون قبوركم...**»

وإذا مِتُّم، ودخلتم إلى قبوركم، وواجهتكم ظلمتها، فستجدون

أنَّ طاعة الله تعالى تُمثِّل المصباح الذي يُشرِق ليضيء كلّ جنباتها، فمن أخذ بطاعة الله تعالى في حياته، وفي كلّ أموره، فسيجد قبره مضيئاً مشرقاً لا خوف فيه ولا وحشة.

- «**وَسَكَناً لطول وحشتكم...**»

وإذا عشتم وحشة القبر، حيث لا جليس ولا أنيس تسكن إليه أو تطمئن به، فإنَّ طاعة الله تعالى تُمثِّل في تلك اللحظات المسكن الهادئ الذي تطمئن به وتستقرّ.

- «**ونَفَساً لكرب مواطنكم...**»

وطاعة الله تعالى تُمثِّل أيضاً النَفَس الذي يزيل الكرب، ويعيد النفس إلى هدوئها وتوازنها.

خلاصة القول: «**إنّ طاعة الله حِرزٌ من متالف مكتنفة...**» فهل تُمثِّل الحصن الذي يمنع التلف والهلاك ممّا يحيط بالإنسان من أمور خطرة ومسيئة، وهي أيضاً الحرز من «**مخاوف متوقّفة، وأوارِ نيران موقدة...**»: أي التي يأمن من خلالها الخوف، وينجو من النار، فالسعادة كلّ السعادة، والخير كلّ الخير هو في طاعة الله تعالى، فعلينا أن نبحث عن مواقع طاعته، من خلال التفقُّه في الدين، بالتعرّف إلى الحلال والحرام، والالتزام بهما، ليحصل على ملكة التقوى.

من إيجابيات الأخذ بالتقوى

ثمّ إنّ الإمام عليّاً (ع) يحاول في هذه الكلمات أن يربط مفهوم الطاعة بالتقوى، فيقول:

- «**فمن أخذ بالتقوى** (أي بطاعة الله) **عَزَبَتْ عنه الشدائد بعد دنوّها...**»

أي إنّ الله تعالى يسهّل له حياته، وييسّر له أموره، وينقذه من الشدائد التي تصادفه بعد الموت.

- «**واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها...**»

إنَّ الله تعالى يحوّل الأمور المرّة والصعبة والشديدة في حياته إلى حالة من الحلاوة والسهولة والبساطة... وإذا أحاطت به أمواج البلاء والهمّ والغمّ من خلال مصاعب الحياة وتعقيداتها، فإنّ تقوى الله تعالى ستخفّف عنه ضغطها وبلاءها.

ويتابع الإمام (ع) تعداد هذه الإيجابيات:

- «**وأُسهلت له الصعاب بعد إنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها...**»

فإذا واجه الإنسان التقيّ صعوبات الحياة بشدائدها، فإنَّ الله تعالى يسهّل له الطريق ويمهّد له السبل... ثمّ يبيّن الإمام (ع) أنّ

الإنسان قد يصاب بقحط في رزقه، أو أيّ أمر من أمور حياته، فإنَّ التقوى من شأنها أن تستنزل عليه مطر الكرامة، لتنتج الخير كلّه في حياته، والسعادة في آخرته.

- «**وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النِّعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها...**»

وتأتي رحمة الله الواسعة لتحيط به، وتعطف عليه، وتُثير الحنان في حياته، بعد أن كانت قد نفرت منه، حينما كان بعيداً عن ساحة التقوى والطاعة، كما أنَّ النِّعم الوفيرة ستحيط بكلّ حياته لتوفّر له كلّ أسباب الأمن والراحة، بعد أن كانت قليلة، كما أنَّ البركة الإلهية ستملأ حياته، وتُغني كيانه بالخير الكثير تماماً كالمطر الغزير حينما يهطل على الأرض فيُثير فيها الحيوية والإنتاج الوفير بعدما كان الماء القليل (الرذاذ) قد منعها من الخصب.

وبعد أن تحدّث الإمام (ع) عن إيجابيات التقوى على مجمل حياة المؤمن التقي، ينطلق لتشجيع المسلمين على الأخذ بها فيقول:

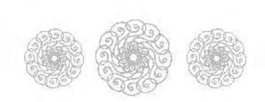
- «**فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته، ووعظكم برسالته، وامتنّ عليكم بنعمته...**»

فالله عزّ وجلّ وعظكم بأفضل المواعظ انطلاقاً من محبّته لكم

ورحمته بكم، فأرسل النبيّ محمداً (ص) ليزوّدكم بكلّ ما يسهّل حياتكم من خلال ما أفاضه عليكم من بركات ونِعَم، ويسعدكم في آخرتكم من خلال ما أعدّه لكم من جنّات خاصة أُعدّت للمتقين.

- **«فعبِّدوا أنفسكم لعبادته، واخرجوا إليه من حقّ طاعته...»**

أي كونوا العبيد المخلصين لله تعالى، الذين يتفرّغون لعبادته بالخضوع والخشوع والانقطاع إليه ليل نهار... فللّه عليكم حقّ الطاعة، وعليكم أن تؤدّوا حقّ طاعته برغبة وحماس.





محتويات الكتاب

هذه هي كلمات عليٍّ عليه السلام
التي تفتح قلوبنا وعقولنا على مسؤوليّاتنا في
عبادة ربّنا، والقيام بكلّ ما حمّلنا إياه من
رعاية أنفسنا، وخدمة كلّ من يحيط بنا، هذا
هو هدى عليّ عليه السلام، وهدى عليّ عليه السلام هو هدى
رسول الله صلى الله عليه وآله، وهدى رسول الله صلى الله عليه وآله
هو هدى الله تعالى.